مفهوم المُخَلّص السياسي

دراسة في الفكر السياسي الحديث والمعاصر

د. هبة البدوي محمد حماية
مدرس الفلسفة السياسية بقسم الفلسفة
كلية الآداب جامعة بني سويف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مستخلص:

ترجع أهمية هذا البحث إلى أهمية موضوع المخَلّص السياسي ذاته؛ الذي هو محور العملية السياسية ذاتها، فإذا نظرنا إلى الفكر السياسي نجد انه يحاول أن يجيب عن تساؤل محدد؛ هو من الذي سيقع على عاتقه مهمة تخليص البشرية، وإصلاح أحوالها؟ وقد اختلفت إجابات المفكرين السياسيين على هذا التساؤل؛ مما يعنى أن المخَلّص السياسي جزء لا يتجزأ من السياسة ذاتها؛ وهذا ما سيحاول أن يثبته هذا البحث، كما ترجع أهمية هذا البحث أيضًا إلى عدم وجود أي دراسة باللغة العربية، أو باللغات الأجنبية عن هذا الموضوع، يدور هذا البحث حول إشكالية رئيسة هي: ما المقصود بالمخَلّص السياسي؟ وما الصور المتعددة التي تجسد فيها؟ ويتم معالجة هذه الإشكالية من خلال طرح عدة تساؤلات أهمها: ما الأسباب التي تدفع إلى البحث عن المخَلّص السياسي؟ من الذي سيجسد دور المخَلّص السياسي؟ ما الصفات التي يجب أن يتحلى بها هذا المخَلّص السياسي؟ وما المهام التي يقع على عاتقه إنجازها؟ وما الوسائل التي تمكنه من تحقيق هذه المهام؟

الكلمات المفتاحية: المخَلّص السياسي، الفكر السياسي

Abstract

The importance of this research is due to the importance of the subject of the political savior, which is the focus of the political process itself. If we look at the political thought we find that it is trying to answer a specific question; is who will fall on his mission to rid mankind, and the reform of their situations? Answers political thinkers have varied on this question; which means that the political savior and parcel of the same policy part, and this is what will try to prove this research, as the importance of this research is also to the lack of any study of the Arabic language, or foreign languages on this topic, this research revolves around the basic problem is: what is the political savior? And multiple images that embody them? And it is addressing this problem by asking several questions, including: what are the reasons that drive to the search for apolitical savior? Who will reflect the political reliever role? What qualities that must be displayed by this political savior? The tasks that falls upon himself to accomplish? The means to achieve these tasks?

Key Words: The political savior, The political thought

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقدمة

ارتبط مفهوم المخَلّص بشكل أساسي بالمجال الأسطوري، والديني، والفلسفي. ويتجلى ذلك في الأساطير التي تتحدث عن الأبطال، والقادة في الميثولوجيات المصرية واليونانية، وكذا في الديانات الهندوسية، والبوذية، والجينية، والكونفوشيوسية. فإذا نظرنا إلى الحضارة المصرية القديمة نجد أن الوازع الديني كان له دورٌ كبيرٌ في ظهور فكرة الخلاص؛ حيث كان هناك إيمان بوجود إله عادل يعاقب ويثيب، وبالتالي فإن خلاص الإنسان - سواء أكان حاكمًا أم محكومًا- يتحقق في إرضاء الإله والامتثال لأوامره، فإذا حظي بجائزة الخلاص، نال السعادة والخلود.

وقد تجسد المخَلّص في الحضارة المصرية القديمة في صورة الحاكم ظلِّ الإله على الأرض، والمفوض منه لحكم البشر، وهذا المخَلّص له دور محدد هو رعاية مصالح الشعب، وتحقيق الأمن والاستقرار في البلاد؛ لكي يكون جديراً بكونه مخَلّصًا. وقد وجدت أساطير عديدة تؤكد على الدور الأساسي والمحوري الذي يقوم به الفرعون بوصفه مخَلّصًا ومرشداً.

كما تجسد أيضًا في صورة الحكيم ضمير الأمة الذي أهّلَه علمهُ وخُلُقُه للوصول إلى أعلى الدرجات، فأصبح له مهمة أساسية، فالحكماء هم الوزراء والمستشارون الذين على عاتقهم تحقيق الرقي والازدهار في كل المجالات، كما أن عليهم أيضًا واجب توجيه أفراد الشعب وتربيتهم وتثقيفهم؛ لأنهم القدوة الصالحة التي يقتدي بها كل فرد من أفراده.

وتجسد كذلك في صورة الكاهن الذي يعدٌ همزةَ الوصل بين الإله والرعية لما لديه من مواهب وقدرات تمكنه من التحدث مع الإله، وتبليغ أوامره ونواهيه، من خلال فك الرموز والإشارات التي ترمز إلى هذه الأوامر وتلك النواهي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما الديانة الهندوسية فقد ارتبط فيها مفهوم الخلاص بفكرتي وحدة الوجود وتناسخ الأرواح، وتقوم فكرة وحدة الوجود على أن هناك وحدة بين الله وكل الموجودات، أما فكرة تناسخ الأرواح فتعني الجزاء من جنس العمل؛ فإذا كانت أعمال الإنسان خيرة تحقق له الخلاص، وينجو من دورات التناسخ، ويتمكن من الاتحاد بالله، أما إذا كانت أعماله سيئة هبط إلى أحط الكائنات.

وتجسد المخلّص السياسي في الهندوسية في طبقة البراهمة الذين خصوا أنفسهم بفكرة الإلهام السماوي فكل ما يأتون به من نظم، وقيم، ومناسك من عند الإله براهما وعلى المؤمنين به السمع والطاعة؛ الأمر الذي يعني أنهم دون سواهم همزة الوصل بين الإله والبشر، وهم بهذا لن يتعرضوا لتناسخ الأرواح. وبالتالي سوف يتحقق الخلاص عندما يتم الامتثال لأوامرهم.

وتجسد المخلّص أيضًا في صورة الحاكم قوة الإله على الأرض، والمطبق لقانونه ونظامه، والذي استوعب النصوص المقدسة ويعمل بمقتضاها. وهذا الحاكم لا يجوز الخروج عليه أو التذمر من قراراته، لأنه ابن الإله ونائبه المفوض منه لحكم البشر.

وجاءت البوذية للثورة على طبقة البراهمة، ورفض تعاليمها، ورفض أن تكون هي المسئولة عن خلاص البشر، وأكدت على أن كل إنسان يمكن أن يصل إلى الخلاص اعتمادًا على ذاته من خلال العلم، والمجاهدة، والاستنارة العقلية. وإن كانت قد رفضت أن يكون الخلاص عن طريق طبقة البراهمة فقد استبدلته بمخلّص آخر هو بوذا الذي يكون بمثابة الهادي، والمرشد، والمصلح الذي يصف للناس طريق الوصول إلى الخلاص. وقد أكد بوذا على وجوده الأزلي الذي سيتجسد في مئات المخلّصين بعد رحيله الجسدي من الأرض. وروت الأساطير البوذية الكثير والكثير عن شخصية بوذا وصفاته، وأقواله، وأفعاله؛ لتؤكد على مكانته بوصفه مخلّصًا لجميع البشر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي البوذية يتجسد المخَلّص في شخصية الحكيم أو المهدي المنتظر الذي يظهر كل خمسة آلاف عام لتهذيب الديانة السائدة، وتقويم المعتقدات الفاسدة، وتخليص الناس من الشرور.

أما الجينية فعلى الرغم من اتفاقها مع البوذية في الاعتراض على أن تكون طبقة البراهمة هي المسئولة عن الخلاص، وفي أن الخلاص يكون مسئولية كل إنسان اعتماداً على العلم والاستنارة العقلية، فإنها لم تكتف بذلك فقد رأت أن الخلاص يتحقق من خلال المبالغة في الزهد والتقشف. فقد أصبح المخَلّص هو البطل، والقديس، والحكيم الذي يرشد الناس إلى طريق الخلاص، إنه الشخص الذي يبالغ في تطهير نفسه من شهواتها عن طريق المبالغة في قهر بدنه لأنه علة كل الشرور والآثام ،لذلك فهو شخص يسعى إلى تحصيل المعرفة بكل صورها.

والمخَلّص في الجينية يتجسد في شخصية مهافيرا البطل العظيم، وقد ظهرت أساطير عديدة تحدثت عن شخصية مهافيرا وصفاته التي تؤهله لأن يكون مخَلّصاً للبشر.

كما تجسد أيضًا في شخصيَة الراهب الذي يهدي الناس ويرشدهم إلى طريق الخلاص؛ لأنه قد نجح في تخليص روحه تمامًا من معوقات البدن ،وتمكن من تحصيل المعارف بشتى صورها.

وإذا انتقلنا إلى الزرادشتية نجد أن الخلاص سوف يتحقق عندما يعود الإنسان إلى فطرته الخيرة الطيبة التي جُبل عليها ،والتي ابتعد عنها نتيجة السير في طريق الشر والشيطان؛ ولكي يستعيد طبيعته الخيرة التي تحقق له الخلاص ؛عليه الإيمان بوحدانية الإله، والابتعاد عن طريق الشيطان والكفر به، والتحلي بمكارم الأخلاق، واتباع طريق زرادشت النبي، والمخَلّص، والهادي، والمرشد، والإيمان بالثواب والعقاب ،والبعث والحساب.

وعليه فإن المخَلّص في الزرادشتية يتجسد في شخصية النبي والحكيم زرادشت، وقد ظهرت أساطير عديدة تحدثت عن التبشير بقدومه،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمعجزات المصاحبة له؛ حيث كان زرادشت نبيًا مخلصًا لرسالة التوحيد ومبشرًا بالنعيم الذي ينتظر الأخيار، ومنذرًا بالجحيم الذي سيلاقيه الأشرار جزاءً على الشرور والآثام التي يرتكبونها في حياتهم.

هذا إلى جانب شخصية المهدي المنتظر الذي سيأتي في نهاية العالم ليقود المعركة الفاصلة بين الخير والشر.

أما إذا انتقلنا إلي الكونفوشية نجد أن الخلاص يتجسد فيها عن طريق الإصلاح الأخلاقي؛ ذلك أنها رأت أن الفساد الأخلاقي هو علة كل الشرور والنكبات التي يعاني منها البشر، وليس هناك سبيلٌ للخلاص إلا في المثل الأخلاقية العليا التي يجب أن يتحلّى بها الجميع؛ لأن الخلاص ليس خلاص شخص بمفرده، وإنما خلاص المجتمع كله، وذلك بجعله مجتمعًا فاضلاً عن طريق التربية والتعليم، ووجود القدوة الصالحة التي ستوجه الناس إلى طريق الفضيلة والخلاص.

لذا فالمخلّص في الكونفوشية يتجسد في شخصية الحكيم والمعلم كونفوشيوس الذي وصل إلى هذه المكانة بفضل خبرته، وعلمه، وقدرته على تحليل القيم، والعادات، والأعراف وتنقيحها، وإدراكه لعلة الفساد في المجتمع، وكيفية إصلاحها لكي يتحقق الخلاص، إضافة إلى أنه قد عاش رسالته فأصبح معلمًا، وموجهًا، ومرشدًا، ومصلحًا. وبنفس المنطق يتجسد المخلّص في الكونفوشية في شخصية المعلم والمربي الفاضل، والمصلح المستنير، فهذا الدور ليس حكرًا على كونفوشيوس وإنما يمتد أيضًا ليشمل كل من يؤهله علمه وخلقه لتربية الناس وتوجيههم وإصلاحهم، وبث التربية الأخلاقية المنشودة في نفوسهم.

ومن يمعن النظر في الفكر الإغريقي يجد أنه قد استمد رؤيته للخلاص من خلال الموروث الديني، والسياق الأسطوري، والفكر السياسي والاجتماعي السائد في أثينا، ورؤى الفلاسفة التي أعلت من القيم الروحية والأخلاقية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حيث يتجسد المخَلّص في الأساطير في عدة صور؛ منها البطل الذي يتسم بمجموعة من الصفات جعلته يستحق أن يصل إلى هذه المكانة ومنها: النسب الإلهي، ونبل الأصل البشري، والتحلي بمكارم الأخلاق التي من أهمها نصرة المظلوم، والشجاعة في الدفاع عن الوطن، والإخلاص في العبادة، ومحبة الآلهة.

ويتجسد المخَلّص في السياق الأسطوري الإغريقي أيضًا في شخصية الكاهن وذلك لاهتمام الإغريق بالتنبؤ، والعرافة، والكهانة؛ ومن ثم نجد أن الأساطير قد أعلت من مكانة هؤلاء الكهنة، وروت الكثير والكثير عنهم بوصفهم الأقرب إلى الآلهة والأجدر على تفسير الظواهر الطبيعية، والكشف عن الغامض من الأحداث التاريخية، والذين يتم الرجوع إليهم في أمور السياسة، والحكم، والحرب.

ومن يمعن النظر في الرؤى الفلسفية الإغريقية يجد أن الحديث عن المخَلّص قد ظهر في كتابات أفلاطون خاصة في محاورة الجمهورية التي رأى فيها أن تحقيق الخلاص سوف يتحقق على يد الحاكم الفيلسوف القادر على تحقيق العدالة والصالح العام، ورأى أن وجوده سوف يتحقق من خلال وجود برنامج تربوي تعليمي له عدة مراحل يتم اجتيازها لكي نصل إلى هؤلاء الحكام الفلاسفة.

وتحدث أرسطو أيضًا عن المخَلّص، ولكن ليس في صورة الحاكم لأن الشخص المنفرد بالسلطة يميل إلى الاستبداد في رأيه؛ ومن ثم فإن المخَلّص عند أرسطو يظهر بوضوح في صورة المواطن الأثيني الحر الذي يكون على وعي بحقوقه وواجباته، والذي يشارك بإيجابية وفاعلية في تدبير سياسة مدينته.

كذلك وجد هذا المخَلّص الديني في الديانات السماوية ؛ فقد وصف المسيح بأنه المخَلّص الذي جاء لفداء البشر وتخليصهم، وفي الإسلام نجد فرق الشيعة التي آمنت بفكرة المخَلّص الذي سيتجسد في صورة المهدي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المنتظر، وعلى رأس هذه الفرق إخوان الصفا أحد فرق الشيعة الإسماعيلية التي أكدت على أن الخلاص سيأتي بمجيء المهدي المنتظر سيد إخوان الصفا الذي يسير على نهج المخَلّصين الست السابقين عليه؛ وهم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد.

تراءت هذه الأفكار أمام الباحثة، فكان هذا البحث الذي ترجع أهميته إلى موضوع المخَلّص السياسي ذاته؛ الذي هو محور العملية السياسية ذاتها، فإذا نظرنا إلى الفكر السياسي نجد أنه يحاول أن يجيب عن تساؤل محدد؛ هو من الذي سيقع على عاتقه مهمة تخليص البشرية، وإصلاح أحوالها؟ وقد اختلفت إجابات المفكرين السياسيين على هذا التساؤل؛ مما يعنى أن المخَلّص السياسي جزء لا يتجزأ من السياسة ذاتها؛ وهذا ما سيحاول أن يثبته هذا البحث، كما ترجع أهمية هذا البحث أيضًا إلى عدم وجود أي دراسة باللغة العربية، أو باللغات الأجنبية عن هذا الموضوع، فكل الكتابات التي وجدت تركز فقط على صورة واحدة وهي دور الأبطال في التاريخ؛ الأمر الذي يجعل من هذا البحث موضوعًا مختلفًا؛ إذ يدور حول إشكالية رئيسة هي: ما المقصود بالمخَلّص السياسي؟ وما الصور المتعددة التي تجسد فيها؟. ويتم معالجة هذه الإشكالية من خلال طرح عدة تساؤلات أهمها: ما الأسباب التي تدفع إلى البحث عن المخَلّص السياسي؟ من الذي سيجسد دور المخَلّص السياسي؟ ما الصفات التي يجب أن يتحلى بها هذا المخَلّص السياسي؟ وما المهام التي يقع على عاتقه إنجازها؟ وما الوسائل التي تمكنه من تحقيق هذه المهام؟

مفهوم المخَلّص السياسي : -

إن مصطلح المخَلّص السياسي لم يرد صراحة في كتابات غالبية المفكرين السياسيين، وبالتالي يتم استخلاص تعريفهم للمخَلّص السياسي من خلال الآراء والأفكار التي قاموا بطرحها، ومن هؤلاء المفكرين: غوستاف لوبون(Gustave Lebon) (١٨٤١ – ١٩٣١)– وبرتراند راسل(Bertrand Russell) (١٨٧٢ – ١٩٧٠)– وميشيل اواكشوط (Michael

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Oakeshott((١٩٠١ – ١٩٩٠)– وحنة ارندت(Hannah Arendt)(١٩٠٦ – ١٩٧٥)– وروبرت دال(Robert Dahl) (١٩١٥ – ٢٠١٤). اتفق هؤلاء المفكرون على أهمية المجال السياسي وأكدوا على أن إصلاح أحوال البشر يرتبط أرتباطًا كبيراً بهذا المجال، وأكدوا كذلك على أنه لابد من البحث عن الخلاص من أجل القضاء على الشرور والمظالم التي يعاني منها البشر في كل مكان، وأتفقوا أيضًا على أن الغاية المنشودة من الخلاص السياسي هي: توفير حياة جيدة تحقق للإنسان متطلباته، وتمكنه من أن يحيا مع غيره من البشر حياة خالية من كل ما يعكر صفوها.

ولهذا نرى غوستاف لوبون يؤكد على أن جهلنا بأهمية السياسية، وأهمية الدور الذي تقوم به في حياة البشر هو الذي أدى إلى عجزنا عن تحقيق الخلاص، ولكي يتحقق الخلاص يجب أن نمنح للسياسة المكانة التي تستحقها لأنها المعبر الوحيد عن روح الأفراد، والجماعات، والشعوب. كذلك فإن الإلمام بروح السياسة من خلال معرفة أسسها ومتطلباتها سوف يمكن الحكام من التعامل مع المشكلات التي تواجههم، والتوصل إلى حلول مرضية لها. وإن الجهل بهذه الأمور سوف يكون له أسوأ النتائج. وبذلك يؤكد غوستاف لوبون أن الأشخاص الذين تقع على عاتقهم مهمة الخلاص السياسي هم رجال السياسة لما لديهم من علم بوسائل النجاح السياسي والتي من أهمها بعد النظر، والتطلع إلى المستقبل[١].

أما برتراند راسل فيرى أن الأيام المظلمة التي يحياها البشر، هي التي تدفعنا إلى ضرورة البحث عن عالم أفضل مختلف عن هذا العالم الذي نحيا فيه. ولكي يحدث ذلك لابد من تغيير المثل السياسية القديمة التي طالما دافعنا عنها، والتي أثبت الواقع المعيش أنها مثلاً عاجزة عن تحقيق

١- غوستاف لوبون، روح السياسة، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢، ص ١٥ ، ١٦ ، ٢٤٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حياة أفضل للبشر، ونبحث عن مثل سياسية جديدة قادرة على تحقيق هذا الغرض[١].

وهنا يؤكد راسل أن هذه المثل السياسية الجديدة لا تأتي من تشييد مدنًا فاضلة، فكل المدن الفاضلة التي تم اقتراحها ما هي إلا يوتوبيات تتسم بالجمود، والسكون، والبعد كل البعد عن الواقع الذي يحياه الإنسان المليء بالحركة، والحيوية، والتجديد، والذي يختلف اختلافًا كاملاً عن الثبات المزعوم في هذه اليوتوبيات[٢].

وفي ضوء ذلك يرى أن هذه المثل السياسية الجديدة يجب أن يكون الفرد غايتها، ذلك لأنها توجد خصيصًا من أجله؛ حيث إن هدف السياسة هو: أن يحيا الفرد حياة فاضلة سعيدة بقدر المستطاع، لذلك فإنه على السياسي لكي يتمكن من تحقيق الخلاص أن لا يخرج عن دائرة الواقع المعيش بكل ما فيه، وإنما عليه أن يبدأ وينتهي من المجتمع المكون من أشخاص لهم متطلبات متغيرة، ويعانون من صعوبات، ويتعرضون لمظالم وشرور لابد من إيجاد حلول لها. فالسياسة يجب أن تكون تكييف للعلاقات والروابط بين البشر، بحيث تمكن كل فرد من تحقيق أكبر قدر من الخير، ولكي يتحقق ذلك يجب أن نبحث عن ماهية الخير الذي نريده لحياة الفرد[٣].

وليس معنى ذلك ـ كما يرى راسل ـ اننا نرغب في أن يكون البشر متشابهين، أو أن نضع أنموذجًا أو مثلاً يحتذيه الجميع، فهذا هو ما يسعى إليه المصلح العجول، وإنما نرغب في وضع مُثلٍ سياسية تمكّن كلّ فردٍ على حدته من تحقيق أهدافه التي لا تتفق بالضرورة مع رغبات غيره من

١- برتراند راسل، مثل عليا سياسية، ترجمة: فؤاد كامل عبد العزيز، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ص ٣.

٢- برتراند راسل، أسس لإعادة البناء الاجتماعي، ترجمة: إبراهيم يوسف النجار، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٧، ص ٧٨.

٣- برتراند راسل، مثل عليا سياسية، ترجمة: فؤاد كامل عبد العزيز، ص٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأفراد وأهدافهم. وهناك المبادئ التي تحتمل أكبر عدد من التطبيقات والتي يمكن أن نتخذها مرشداً وهادياً لما هو محتمل ومرغوب فيه[1].

وبرغم ذلك كله فإن راسل يؤكد على أنه حتى هذه اللحظة ليس هناك عمل جاد من أجل هذا الغرض، وذلك لأن تغيير المجتمعات الإنسانية أمر شاق وعسير لا يقوم به فرد أو مجموعة بعينها، وإنما يحتاج تضافر الجهود التي يقوم بها الأفراد أنفسهم الراغبين في تغيير حياتهم إلى الأفضل، ولكي يتحقق ذلك يحتاج العالم المتحضر إلى تغيير جذري في بيئته الاقتصادية وفي فلسفته في الحياة[2].

كذلك يذهب ميشيل أواكشوط إلى أن السياسة هي الوسيلة التي يتم من خلالها تجميع البشر بعضهم مع بعض؛ ذلك أنها تعبر عن اهتماماتهم وتوجهاتهم التي يكون فيها لكل فرد بعض الأدوار، وبعض المسئوليات[3].

وهنا تتفق معه حنة أرندت التي رأت أن الخلاص السياسي يتحقق من خلال زرع الأمل في الحياة المشتركة، وليس معنى ذلك إنكار التعدد والتنوع، وذلك لأن السياسة ما هي إلا الاعتراف بالتعدد والتنوع البشري. إن السياسة عند حنة أرندت هي دراسة المجموع البشري الذي هو مجموعة من الكائنات المختلفة والمتكاملة فيما بينها، فالسياسة هي النشاط الوحيد

1- إلمرجع نفسه، ص ٣، ٤.

2- المرجع نفسه، ص١٥.

3-Michael Oakeshott, Political Education In Rationalism In Politics And Other Essays, London: Methuen And Co ltd , 1962, P.112.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذي يضع الناس مباشرة جنبًا إلى جنب، إذ لا يمكن أن يحيا الإنسان بمفرده فانقطاعه عن غيره من البشر يعنى الموت بالنسبة له[1].

لذا فهي تؤكد ان قدرة الإنسان على الفعل هي التي تجعل منه كائنًا سياسيًا وهي التي تمكنه من أن يحيا مع أمثاله من البشر[2]؛ الأمر الذي يعني أن ممارسة الإنسان لحريته لا يكون لها وجود حقيقي إلا في السياسة، فالحرية هي السبب الذي يعيش الناس من أجله في أي نظام سياسي، ودونها لا يكون هناك وجود أو معنى لأي حياة سياسية، وهذه الحرية لن تتحقق إلا عندما نتصل بغيرنا من البشر لنضع معًا معالم الحياة السياسية المشتركة التي نرغب في أن نحيا في ظلها[3].

وبنفس المنطق يؤكد روبرت دال على الدور المحوري الذي تقوم به السياسة في حياة الإنسان، فيرى أن كل فرد يرتبط بالسياسة من خلال وجوده في نظام سياسي ما، فهو يتعامل مع السياسة عندما يهتم بأمور الدولة، والمدينة، والهيئات الدينية، والشركة، والنقابة، والنادي، والحزب السياسي، والجمعيات التطوعية، وغيرها من المنظمات. فالسياسة هي حقيقة من حقائق الوجود الإنساني لا يمكن تجنبها فكل فرد يجد نفسه مشتركًا بطريقة ما في شكل من أشكال النظم السياسية، وإذا كان الفرد لا يمكن أن يتجنب السياسة فإنه لا يمكن بالتالي أن يتجنب النتائج المترتبة عليها[4].

١- زهير الخويلدي، تقريظ التعددية والمشترك العمومي عند حنة أرندت في: الفعل السياسي بوصفه ثورة دراسات في جدل السلطة والعنف عند حنة أرندت، بيروت، دار الفارابي، ٢٠١٣، ص ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٢.

٢-حنة أرندت، في العنف، ترجمة: إبراهيم العريس، بيروت، دار الساقي، ١٩٩٢، ص ٧٤.

٣ حنة أرندت، بين الماضي والمستقبل، ترجمة: عبد الرحمن بشناق، مراجعة: زكريا إبراهيم، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٤، ص ١٥٤، ١٥٦.

٤ روبرت أ . دال، التحليل السياسي الحديث، ترجمة: علاء أبو زيد، مراجعة: على الدين هلال، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٩٣، ص٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صور المخلّص السياسي : -

إذا كان الخلاص يرتبط بالمجال السياسي كيف يتم تحقيق هذا الخلاص ؟ تتضح الإجابة عن هذا السؤال من خلال التأكيد على أنه ليس هناك تصور محدد بعينه يجعلنا نصل إلى هذا الخلاص السياسي، وإنما هناك رؤى وتصورات عديدة تسعى إلى تحقيق هذه الغاية، الأمر الذي يعنى أنه لن يكون هناك اتفاق حول من سيجسد دور المخلّص السياسي هل هو الحاكم، أم أن هذا الدور سيقوم به الشعب، أم الإنسان الفرد، أم الإنسان الأعلى، أم سيكون المسئول عنه أيديولوجية بعينها تحمل في تطبيقها الخلاص المنشود، أم هي الهيمنة العالمية التي ستخلص العالم من الكوارث التي لحقت به.

يتضح من ذلك أنه ليس هناك صورة واحدة للمخلّص السياسي وإنما هناك صور متعددة، وبالتالي وسائل ومهام متعددة للتوصل إلى هذا الخلاص السياسي، وأهم هذه الصور:

[١] - المخلّص السياسي في صورة الحاكم : -

إن الحديث عن المخلّص السياسي بوصفه شخصاً محدداً يظهر بشكل أساسي في حديث المفكرين السياسيين عن الحاكم بوصفه الشخص الذي ستقع على عاتقه مسئولية شعبه، وأنه المسئول الوحيد عن رقي الدولة، وتحسين أحوال هذا الشعب.

ومن ابرز المفكرين السياسيين الذين عبروا عن المخلّص السياسي في صورة الحاكم نجد نيكولا ميكيافيللي(Niccolo' Di Bernardo Dei Machiavelli)(١٤٦٩ - ١٥٢٧)، وتوماس هوبز(Tomas Hobbes) (١٥٨٨ - ١٦٧٩). فقد اتفقا على أن الحاكم هو المسئول عن الخلاص السياسي، كذلك اتفقا في السبب الذي دفع كلاً منهما إلى البحث عن المخلّص السياسي في صورة الحاكم يتمثل هذا السبب في ضعف الدولة،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد أرجعا علة هذا الضعف إلى ضعف الحكام، ولكي تستعيد الدولة قوتها أكدا على ضرورة وجود حاكم قوي يتمكن من القضاء على الصراعات والاضطرابات، وتأمين الدولة وحمايتها داخليًا وخارجيًا. كما اتفقا أيضًا على أن هناك مسئوليات ومهام ملقاة على عاتقه لكي ينجح في إنجاز مهمته، ولهذا فإن الغاية من وجود المخلّص السياسي عندهما؛ هي قدرته على إقامة دولة قوية ناهضة ينعم فيها الجميع بالأمن، والسلام، والاستقرار.

إن السببَ الذي دفع ميكيافيللي إلى البحث عن المخلّص السياسي في صورة الحاكم يرجع إلى الواقع الأليم الذي تعاني منه دولته في ذلك الوقت والذي تسبب فيه غياب الحاكم القوي القادر على إصلاح هذا الواقع، وتخليص الشعب من كل هذه المعاناة، وبالتالي فإن الظروف مهيأة لظهوره لأنه ليس هناك وضع أسوأ من الوضع الحالي، ومن ثم فإن وجوده أصبح ضرورة ملحة لا غنى عنها. فقد تفرق شمل الدولة وأصبحت بلا حاكم، وبلا نظام، ومهزومة، ومنهوبة، وممزقة الأشلاء، ومغلوبة على أمرها بعدما مرت بكل أنواع الدمار. والأمل الوحيد للخروج من هذا الوضع المؤسف، هو وجود فرد محدد يهيئه الله لخلاص البلاد[1].*

ورأى ميكيافيللي أن هناك مجموعة من الصفات يجب أن يتصف بها المخلّص السياسي في صورة الحاكم لكي ينجح في تحقيق مهمته؛ وأهمها أولاً: يجب على الحاكم أن يكون واقعيًا وليس خياليًا، وذلك بالابتعاد عن اليوتوبيات والمدن الفاضلة التي ليس لها وجود إلا في أذهان واضعيها،

---

١ ميكيافيللي، كتاب الأمير، ترجمة: أكرم مؤمن، القاهرة، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤، ص ١٢٢.

* ويعبر ميكيافيللي عن ذلك بقوله "إن إيطاليا تتضرع إلى الله كي يرسل إليها من يخلصها من قسوة البرابرة وإهاناتهم. كما أنها مستعدة للعمل تحت لواء يرفعه أي إنسان. ولا أمل لإيطاليا الآن إلا أن يتزعم مقامكم العالي هذا التحرير، فهو عال بنفوذه وطالعه السعيد، ويناصره الله والكنيسة التي يستمد منها سلطانه". المرجع نفسه ، ص ١٢٢، ١٢٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهناك فرق شاسع بين الحياة كما نحياها وما ينبغى أن تكون عليه، وثانيًا: يجب على الحاكم كذلك أن يكون محبوبًا بين أفراد شعبه وسوف يحدث له ذلك عندما يكون قادرًا على تحقيق العدالة، وثالثًا: على الحاكم أن يكون قادرًا على نيل رضى شعبه، وأن يكسب صداقته لكي يكون ملاذًا له في وقت الخطر، ورابعًا: يجب على الحاكم أن يتسم بالقوة والشجاعة لكي يتمكن من إقامة دولة قوية، فالحاكم القوي الذي يعيش في دولة قوية لا يمكن أن يعتدي عليه أحد، وإن تجرأ أحد في الاعتداء عليه سوف يكون مصيره هزيمة ساحقة في أقل وقت ممكن، وخامسًا: يجب على الحاكم أيضًا أن يعرف كيف يكون خيرًا وليس شريرًا، وأن يعرف متى يستخدم هذه الصفة، ومتى لا يستخدمها بحسب الضرورة[1].

وسادسًا: يجب على الحاكم كذلك أن يجمع بين الصفات المتناقضة؛ مثل الكرم والبخل، وإن كان يجب أن يكون أميل إلى البخل لكي يتمكن من النهوض بالبلاد، وذلك بتحقيق اقتصاد قوي يحافظ من خلاله على مالية الدولة، وأن يجمع بين الشدة واللين، وذلك بأن يوصف بالرحمة ولا يهتم في نفس الوقت بأن يوصف بالشدة ما دامت هذه الشدة من أجل الحفاظ على مواطنيه والحفاظ على ولائهم له؛ ذلك أن الإفراط في اللين يؤدي إلى وقوع الاضطرابات ونشوب الصراعات، وإحداث السلب والنهب. وأن يجمع بين كونه محبوبًا ومهابًا وإن كانت المهابة يجب أن تكون بدرجة أكبر من الحب، إلا أن عليه في نفس الوقت أن يتجنب أن يكون مكروهًا والشيء الذي سيجنبه الكراهية هو عدم المساس بممتلكات المواطنين ونسائهم. وبذلك يكون على الحاكم العاقل أن يعتمد على ما لديه من سلطان وأن يتجنب الكراهية المدمرة. كذلك يجب على الحاكم أن يعلم أن هناك طريقتين للقتال: الأولى لها قواعد وقوانين، والثانية تعتمد على القوة فقط. الأولى تناسب البشر، والثانية فتناسب حياة الغابة، ومن الضروري للحاكم أن يعرف حق المعرفة كيف يستخدم كلتا

---

١ المرجع نفسه، ص٨٠ ، ٥٨ ، ٦١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الطريقتين؛ ولكي يتحقق له ذلك يجب أن يجمع بين الحيلة والمكر، وإلى جانب ذلك يجب على الحاكم ألا يحفظ وعداً يكون الوفاء به ضد مصلحته، وألا يستمر في الوفاء بوعد انتهت أسباب الارتباط به، وإنما عليه تقديم الأعذار المقبولة التي تبرر عدم الوفاء بعهده[1].

وعلى الحاكم أيضًا أن يتصف بالحكمة وذلك من خلال ملاحظة المشكلات في بدايتها وإيجاد حلول سريعة وفعالة لها، فيعد عقله للتكيف مع أي فتنة قد تهب رياحها، الأمر الذي يعني أن يكون حذراً مع تغيرات المستقبل، وذلك ألا يبتعد عن الخير قدر الإمكان رغم قدرته على ارتكاب الشرور إذا اضطر إليها، لذا فعليه أن يصون لسانه، وأن يبدو رحيمًا، ومستقيمًا، وصادقًا، ومتدينًا أمام من يزاه ويسمعه، وعليه أن يحترس من المؤامرات الداخلية والخارجية، وفيما يتعلق بالخارجية يمكن أن يتجنبها عن طريق الأسلحة الجيدة والأصدقاء المخلَصين، وفيما يتعلق بالداخلية يمكن أن يتجنبها بأن يبتعد عن أن يكون محتقراً أو مكروهًا وسوف يتحقق ذلك عندما يكون الشعب راضيًا عنه. فإن أفضل علاج يحميه من المؤامرات هو حب الشعب له[2].

وفيما يتعلق بالوسائل التي ستعين المخلَص السياسي على تحقيق مهمته يرى ميكيافيللي أنه لابد من وجود الدعائم القوية التي تعين الحاكم؛ وأهم هذه الدعائم وجود القوانين الجيدة والأسلحة الجيدة، ولا توجد قوانين جيدة دون وجود أسلحة جيدة. وعلى الحاكم أن يقتفي أثر العظماء من القادة الذين حرروا أوطانهم، وذلك من خلال الاعتماد على القوات الوطنية؛ لأنه ليس هناك جنود مخلصون أكثر منهم، وبالتالي لن يجد أفضل منهم للاعتماد عليه. فالقوات التي يجب أن تدافع عن الوطن يجب أن تكون من أبنائه. وهنا يؤكد ميكافيللي أن الحاكم يجب أن يعتمد على أسلحته الخاصة، ولا يعتمد على أسلحة قوات مأجورة أو

---

١ المرجع نفسه، ص ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ .

٢ المرجع نفسه، ص٧٥ ، ٩١ ، ٩٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أسلحة حلفاء له؛ لأن ذلك أمر غاية في الخطورة ولن يتحقق معه أي خلاص سياسي. كذلك ينبغي على الحاكم ألا تكون له فكرة أو غاية سوى الحرب، ونظامها، وطرق تنظيمها، فهذا هو الفن الوحيد اللازم لمن يتولى القيادة[1].

كذلك يجب على الحاكم أن يقرأ التاريخ ويدرس أعمال أعظم الرجال ليرى كيف كانوا يتصرفون في الحروب، ويدرس أسباب انتصاراتهم، وأسباب هزيمتهم أيضًا ليسير على خطاهم في الأمور التي سببت لهم النصر، ويتجنب كل ما كان يؤدي إلى هزيمتهم. ومن الوسائل التي تعين الحاكم أيضًا على إنجاز مهمته أن يحافظ على ظهور أعماله بصورة تعكس العظمة، والقدرة، والمجد، وعليه ألا يقبل النقد فيما يحكم به بين رعاياه، ويتمسك بما يصدره من قرارات[2].

ومن أهم الوسائل التي ستعين الحاكم أيضًا أن يحسن اختيار مستشاريه والمحيطين به، ويجب أن يتجنب المتملقين، لذا عليه أن يختار من يقدم له النصيحة من حكماء الناس ويمنحهم الحرية التامة لكي يتحدثوا عن ما يسألهم عنه من أمور. وعليه أن يعمل بتأني ويفكر جيدًا، وأن يكون حازمًا فيما يتخذه من قرارات. وعلى الحاكم أن يتجنب الأسباب التي تؤدي إلى انهيار الدولة؛ وأهمها نقص الأسلحة، ومعاداة شعبه، والعجز عن التعامل بحكمة في وقت الاضطرابات لعدم توقعها، وعدم وجود خطة للتعامل معها وقت حدوثها[3].

بذلك تصبح الغاية من وجود المخلّص السياسي عند مكيافيللي هي قيام دولة قوية ناهضة محررة من كل استعمار، ومن يحقق هذه المهمة

---

[1] المرجع نفسه، ص ٦٦ ، ١٢٤ ، ٧٧.

[2] المرجع نفسه، ص ٧٩، ٩٢ .

[3] المرجع نفسه، ص١١٢، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١١٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سوف يجد كلّ المواطنين معاونين له، ولن يجد منهم سوى الحب، والعرفان، والشكر، والولاء، والطاعة[1].*

بحث توماس هوبز ايضًا عن المخلّص السياسي في صورة الحاكم، وذلك لأنه عاصر الحروب الأهلية في انجلترا، ورأى أن السبب في نشوبها يرجع إلى غياب الحاكم القوي، ومن ثم فإن وجوده أصبح ضرورة ملحة لكي يتم القضاء عليها. ومعنى ذلك أن السبب الذي جعله يبحث عن المخلّص السياسي في صورة الحاكم هو حالة التدهور، والصراع، والانهيار، وعجز الأفراد على أن يحيوا معًا في سلام في غياب الحاكم القوي.

إن هدف كل إنسان هو الحفاظ على ذاته، وفي حالة غياب الحاكم القوي يستخدم كل إنسان كل الوسائل التي يراها مناسبة لتحقيق هذا الغرض، ولأن البشر يتصفون بالأنانية، ولأن كلاً منهم يسعى إلى تحقيق مصالحه الخاصة، فإنه لا يهتم بمصالح الآخرين، ويكون من حق كل إنسان أن يستخدم قوته كما يشاء للحفاظ على ذاته، وتحقيق مصالحه. وفي ظل هذا الوضع لا يكون هناك أمن، أو سلام، أو استقرار، وإنما تسيطر الصراعات والاضطرابات، ويصبح الشعور المسيطر على الجميع هو الخوف،

---

١ المرجع نفسه، ص١٢٥.

* يعبر ميكيافيللي عن ذلك بقوله "وانا لا استطيع ان اعبر عن الحب الذي سيقابل به من يحرر كل هذه الولايات التي ذاقت الأمرين بسبب الغزو الأجنبي، وعن المتعطشين للثأر وما سيلاقيه المحرر من ولاء ثابت، وعقيدة قوية، ودموع الشكر، والعرفان بالجميل. فأي باب يمكن أن يغلق في وجه هذا المحرر؟ ومن ذا الذي يرفض أن يطيعه؟ واين الإيطالي الذي لا يقبل يسانده؟ إن رائحة السيطرة الأجنبية تزكم كل الأنوف، فهل لمقامكم العالي أن يؤدي هذا الواجب بشجاعة وأمل كبير في هذه القضية العادلة، حتى ينهض وطن آباءنا وأجدادنا تحت راية الوطن". المرجع نفسه ، ص ١٢٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا يثق بعضهم في بعض، مما يؤدى إلى أن يسعى كل فرد إلى زيادة قوته بكل السبل حتى يقضي على كل قوة يمكن أن تشكل خطراً عليه[1].

يتضح من ذلك أنه في الوقت الذي يعيش فيه الناس دون سلطة وقوة قادرة على إرهابهم جميعاً يكونون في حالة حرب وهي حرب بين كل إنسان وكل إنسان آخر، وفي هذا الوضع لا يمكن أن يكون هناك استقرار، حيث لا عمل، ولا زراعة، ولا صناعة، ولا أي مظهر من مظاهر التقدم والرقى، ولا فنون، ولا آداب، ولا مجتمع؛ والأسوأ من ذلك هو وجود خوف متواصل، وترقب موت عنيف؛ وبالتالي تصبح حياة الإنسان وحيدة بائسة، وبغيضة قاسية، وقصيرة، وينتج من هذه الحالة أيضاً عدم وجود ما يسمى بالظلم، فإن أفكار الصواب والخطأ، والعدل والظلم لا يكون لها وجود في هذا الوضع، إذ ليس هناك سلطة مشتركة، ولا قوانين ملزمة، وإن ما يوجد فقط هو حق كل إنسان في أن يستخدم قوته كما يشاء للحفاظ على ذاته[2].

ولكي يتم التخلص من هذه الحالة يجب أن يسعى كل إنسان نحو السلام والشخص الوحيد الذي يكون بمقدوره تحقيق هذا الهدف هو الحاكم القوي. وهذه القوة سوف تمكنهم من تنظيم حياتهم، وتجعلهم يحترمون تعهداتهم خوفاً من العقوبة، والوسيلة الوحيدة لإنشاء هذه السلطة المشتركة القادرة على الدفاع عن البشر، وحمايتهم من الإساءات المرتكبة بحق بعضهم، والقادرة أيضاً على حمايتهم من أي اعتداء خارجي حتى يتمكنوا من الشعور بالأمن والسلام والرضا؛ هي جمع قوتهم وقدرتهم باتجاه شخص، أو مجموعة أشخاص بحيث تخضع إرادتهم لإرادته وأحكامهم لحكمه؛ الأمر الذي يعني وحدة الجميع الفعلية في شخص واحد،

---

[1] توماس هوبز، الليفياثان الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، ترجمة: ديانا حرب وبشرى صعب، مراجعة وتقديم: رضوان السيد ، الإمارات، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث، ٢٠١١ ، ص ١٣٣.

[2] المرجع نفسه، ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكي ينجح هذا الحاكم في إنجاز مهمته يجب أن تمنح له سلطات مطلقة[1].

وفيما يتعلق بدور المواطنين فقد رأى توماس هوبز أن كلّ مهمتهم هي إقرار كل الأفعال والآراء الصادرة من المخلّص السياسي؛ لأن اختيار هذا الحاكم للقيام بمهمته يتضمن الموافقة على كل الأفعال والآراء التي تعينه على تحقيق هذه المهمة، ولهذا لا يجوز اتهامه بالظلم والاستبداد؛ لأن المواطنين منذ البداية قد منحوا له كل السلطات والصلاحيات التي تجعله ينجز مهمته المتمثلة في تحقيق الأمن والسلام، ويحق له استخدام كل الوسائل التي يراها مناسبة لتحقيق هذا الغرض. وكذلك فإن اي ظلم واستبداد لا يكون شيئًا مقارنة بالمآسي والنكبات التي تحدث في حالة الحرب الأهلية التي هي مصير البشر في حالة عدم وجود قائد وقوانين ملزمة، وقوة رادعة[2].

ويرى هوبز انه لكي ينجح المخلّص السياسي في إنجاز مهمته يجب أن يتصف بمجموعة من الصفات أهمها: القوة، والقدرة على حماية الناس، ويجب أن يتجاوز شرفه شرف اي فرد او جميع الأفراد التابعين له، والسلطة المطلقة هي مصدر هذا الشرف، وأن يكون لديه القدرة على إدراك الأمور إدراكًا واعيًا، وأن يتصف بالاستقلالية في القرارات التي تصدر عنه[3].

وفيما يتعلق بالوسائل التي ستعين المخلّص السياسي على تحقيق مهمته نجد أن أهمها؛ أن يكون حكيمًا في الآراء والمعتقدات المؤيدة والمخالفة للسلام، وعليه أن يختار من يقوم ببحث جميع العقائد والآراء الموجودة في الكتب وتقييمها قبل نشرها. ولأن افعال البشر تكون مترتبة على آرائهم فإن السيطرة الجيدة على افعال البشر في السلام والوفاق تأتي

---

١ المرجع نفسه، ص١٤٠، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١.

٢ المرجع نفسه، ص١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩١ ، ١٩٢.

٣ المرجع نفسه، ص ١٩١ ، ٢٢٧ ، ١٩٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من السيطرة الجيدة على الآراء، وبالتالي يجب أن يتم تنصيب الحكام على الآراء والعقائد؛ كإجراء ضروري للسلام وذلك لتفادي الخلافات، ونشوب الحروب الأهلية[1].

كذلك يجب على الحاكم أن يضع القواعد التي من خلالها يطلع كل فرد على الأموال التي يستطيع التمتع بها، والأفعال التي يقوم بها دون مخاصمة أقرانه، وهي ما يسمى بحقوق الملكية. إن قواعد الملكية هذه المتعلقة بما يخص كل فرد، وما هو جيد، وما هو سيئ، وما هو مشروع، وما هو غير مشروع؛ هي القوانين المدنية. ومن الوسائل التي ستعين الحاكم أيضًا في تحقيق مهمته أن يكون له الحق في الفصل في النزاعات والخلافات؛ لأنه إذا لم يتم الفصل في النزاع، فلن يكون الفرد محميًا من ضرر الآخرين، وبالتالي يلجأ كل شخص إلى حماية ما يخصه من خلال قوته الخاصة، ومن ثم تنشأ حالة من الفوضى وينعدم الأمن والسلام الذي جاء المخلّص السياسي من أجل تحقيقه[2].

ومن أهم الوسائل كذلك أن يكون للحاكم الحق في إعلان الحرب وعقد السلام مع الأمم الأخرى، وبالتالي الحق في تحديد القوى التي ينبغي تجميعها، وتسليحها، وتمويلها. فإن السلطة التي تؤمن الدفاع عن الناس تكمن في جيوشهم، وتكمن قوة الجيش في اتحاد قواته بقيادة وحيدة، وهي قيادة الحاكم صاحب السلطات المطلقة، ومن أهم الوسائل أيضًا اختيار المستشارين والقضاة، وكبار موظفي الدولة، وذلك في أوقات الحرب كما في أوقات السلام. ولأن الحاكم المطلق مؤتمن على هدف هو السلام والأمن المشترك فإنه يملك سلطة استخدام الوسائل التي يعتبرها الأكثر تلاؤمًا مع مهمته[3].

---

١ المرجع نفسه، ص ١٨٦ ، ١٨٧.

٢ المرجع نفسه، ص ١٨٧ ، ١٨٨.

٣ المرجع نفسه، ص١٨٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن السلطات التي يجب أن تمنح للحاكم لإنجاز مهمته أيضًا الحق في منح المكافآت للأفراد بالأموال، والتكريم، والحق في إنزال العقوبات الجسدية والمالية بهم، وذلك استنادًا إلى القانون الذي وضعه، أو في حالة عدم وجود قانون استنادًا إلى ما يعتبره الأكثر تلاؤمًا لتشجيع الناس على مساعدة الدولة، أو على صرفهم عن الإساءة إليها[1].

وبذلك تصبح الغاية من وجود المخَلّص السياسي عند توماس هوبز هي أن يحيا جميع الناس في أمن وسلام، واستقرار دون خوف من أي تهديد داخلي أو خارجي يعكر صفو هذا السلام، والشخص الوحيد القادر على تحقيق هذا الخلاص السياسي هو الحاكم القوي.*

٢] - المخَلّص السياسي في صورة الشعب : -

أما الصورة الثانية للمخَلّص السياسي فهي المخَلّص السياسي في صورة الشعب، ويرفض المدافعون عن هذه الصورة أن يكون الخلاص السياسي مسئولية الحاكم بمفرده؛ لأن ذلك يؤدي إلى أن يصبح الحاكم مصدر كل السلطات، أو أن يتم منحه صلاحيات غير محدودة؛ الأمر الذي يجعله صاحب القرار الوحيد في الدولة، وقد ينتج عن ذلك كله استبداد الحكام، وإساءة استخدام السلطات والصلاحيات الممنوحة لهم، لذلك وجد الكثير من المفكرين السياسيين، ومنهم: جون لوك(John Locke)(١٦٣٢ – ١٧٠٤)، وجان جاك روسو (Jean Jacques Rousseau) (١٧١٢ – ١٧٧٨)، وكانط (Immanuel Kant) (١٧٢٤ – ١٨٠٤)، وإدموند بيرك (Edmund Burke) (١٧٢٩ – ١٧٩٧)، وتوماس بين (Thomas Paine)(١٧٣٧ – ١٨٠٩)، وروبرت دال (Robert Dahl) (١٩١٥ – ٢٠١٤)، أن الخلاص

---

١ المرجع نفسه، ص ١٨٩.

* ويعبر هوبز عن ذلك بقوله" ولما كان البشر يفتقرون في آن إلى فن وضع القوانين الجيدة لدعم أفعالهم كما إلى التواضع والصبر لتحمل حرمانهم من المظاهر الفظة والغليظة التي تصنع مجدهم للحظات معدودة يستحيل عليهم أن يجتمعوا دون مساعدة مهندس كفؤ ". المرجع نفسه، ص ٣١٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السياسي لأي شعب لا يمكن أن يتحقق خارج هذا الشعب، وبالتالي فإنه المسئول عن خلاصه، والارتقاء بأوضاعه، واتفقوا على أن مهمة الحكام هي تنفيذ ما يراه الشعب مناسبًا لكي يتحقق له الخلاص السياسي، إذ أن هؤلاء الحكام قد وجدوا لتنفيذ إرادة الشعب، وليس لأي شيء آخر. واتفقوا أيضًا على أن القوانين التي يخضع لها الشعب يجب أن تكون من اختياره ولا يتم الإقرار بها إلا بعد موافقة الشعب وتصديقه عليها، ومعنى ذلك أن السبب الذي دفع هؤلاء المفكرين إلى البحث عن المخلّص السياسي في صورة الشعب، هو رغبتهم في أن تكون للشعوب الدور الرئيس في الحياة السياسية، وإلا تتحول إلى دمية في أيدي حكام مستبدين يتلاعبون بها كما يشاءون، وقد اتفق هؤلاء المفكرون أيضًا على أن الشعب لكي يحقق خلاصه يجب أن يكون على وعي بمهامه، والتي من أهمها المشاركة بفاعلية في الحياة السياسية.

اما فيما يتعلق بالوسيلة التي ستمكن الشعب من تحقيق الخلاص السياسي، اتفق هؤلاء المفكرون على ضرورة وجود الإرادة الشعبية التي بمقتضاها سوف يسعى كل أفراد الشعب إلى تحقيق مصالحه، ومن خلالها سوف تتكاتف كل الجهود ويصبح الشعب على وعي بما له، وما عليه.

ومن الوسائل التي ستمكن الشعب أيضاً من تحقيق الخلاص أن يكون على وعي بحدود السلطة، وأنه دون سواه مصدر كل سلطة. وأن سلطة الحكام تكمن فقط في تنفيذ القوانين التي صدق عليها الشعب، التي تم وضعها من قبل أشخاص يتم اختيارهم من بين أفراد هذا الشعب. وأن أي حاكم لا يلتزم بهذه المهمة المحددة الموكلة إليه يتم سحب السلطة منه؛ لأنه خرج عن الإطار الذي حدده له الشعب. وإن كان هؤلاء المفكرون قد اتفقوا حول الإطار العام الذي يجعل الشعب مسئولاً عن خلاصه، فإن اختلافهم يكمن في التفاصيل التي تمكن هذا الشعب من تحقيق الخلاص.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أكد جون لوك على أن السبب الذي جعله يبحث عن المخلّص السياسي في صورة الشعب، هو: أن الناس قد خلقوا أحراراً ومتساوين ومستقلين، ولم يحرم أي إنسان من هذا الحق، ومن ثم لا يمكن إخضاع هؤلاء لأي سلطة سياسية دون رضاهم، وهذا الرضا الذي يتفقون عليه جميعًا فيتحدون معًا في كيان واحد من أجل سلامتهم وراحتهم، وحتى يسود الوئام فيما بينهم، ويتبادلون المنافع. كذلك فإن اتحادهم فيه قوة لهم تعينهم على مواجهة الأخطار المشتركة[1].

وفيما يتعلق بالوسائل التي سيعول عليها الشعب ليحقق خلاصه السياسي، يرى جون لوك أنه: يجب على هؤلاء الذين اتحدوا في جماعة واحدة أن يبذلوا كل ما في وسعهم لتحقيق الهدف الذي اجتمعوا من أجله في المجتمع، فيمنحوا السلطة للأغلبية، وذلك بالاتفاق على الانضمام إلى مجتمع سياسي واحد[2].

ومن هذه الوسائل أيضًا التزام الحكومة بدور محدد هو تحقيق صالح المجتمع، وألا يتنازل الأفراد عن حريتهم إلا بالقدر الذي يساعد الحكومة على تنفيذ هذا الدور، ومعنى ذلك أن لها مهمة محددة، وهي تنفيذ القوانين، لذلك لابد من وجود قضاة يتصفون بالعدالة والنزاهة يقومون بالفصل في النزاعات[3].

وبذلك تصبح الغاية من وجود المخلّص السياسي في صورة الشعب عند جون لوك، هي تحقيق السلام والأمن، والخير العام للشعب[4].

---

١ جون لوك، الحكومة المدنية، ترجمة: محمود شوقي الكيال، القاهرة، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، ص ٨٣ .

٢ المرجع نفسه، ص ٨٥ .

٣ المرجع نفسه، ص ١١١.

٤ المرجع نفسه، ص ١١٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما السبب الذي دفع روسو إلى البحث عن المخلّص السياسي في صورة الشعب، فهو: أنه قد وجد أن الإرادة العامة وحدها هي التي بمقدورها أن توجه قوة الدولة نحو تحقيق الخير العام، وتحقيق المصالح المشتركة التي سيتفق عليها الجميع. وإذا كانت الدولة لا تقوم إلا على اتحاد أعضائها، فإنها لن تحقق صالح أعضائها إلا عندما يشكل هؤلاء الأفراد قوة عامة قادرة على تحقيق ما تطمح إليه[1].

وذهب روسو إلى أن الوسيلة التي ستمكن الشعب من تحقيق الخلاص السياسي، هي: أن تكون السيادة لهذه الإرادة العامة، والا يتم التنازل عنها. فإما أن تكون هناك إرادة عامة حقيقية، أو لا يكون هناك شيء على الإطلاق. وهنا يؤكد روسو أن الإرادة العامة تكون صائبة دائمًا وأنها تهدف إلى النفع العام دائمًا، ولكي تكون كذلك يجب أن يتشاور أفراد الشعب حول ما سيحقق لهم الخير العام والصالح المشترك، كما يجب أن يتشاوروا حول السبل التي ستمكنهم من الخروج من دائرة المصالح الخاصة والمتعارضة للتوصل إلى قوانين مشتركة يتوافق عليها الجميع[2].*

ولكي يتحقق الخلاص للشعب لابد من وجود هيئة سياسية فعالة يتم اختيارها من بين أفراد الشعب، تكون هذه الهيئة مسئولة عن تشريع القوانين التي سيخضع لها الجميع لأنها تهدف في الأساس إلى تحقيق الصالح العام. وسوف يتحقق هذا الصالح العام عندما تكفل هذه القوانين المساواة للجميع؛ لذا يجب أن يكون الشعب على وعي بأن نوابه هم مجرد وكلاء له، وليسوا ممثلين عنه؛ ذلك أن الشعب الذي يجعل له ممثلين لا

---

١ جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢، ص ٥١ ، ٥٧ .

٢ المرجع نفسه، ص ٥١ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦.

* ويعبر روسو عن ذلك بقوله" وإذا ما تشاور الشعب الخبير بما فيه الكفاية فإن العدد الكبير والاختلافات الصغيرة يسفران عن الإرادة العامة ويكون القرار صالحاً دائمًا". المرجع نفسه، ص ٥٥ ، ٥٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يكون له وجود، ولا يمكن أن يوصف بأنه حر، وكل قانون لا يوافق عليه الشعب يكون باطلاً[1].

وعندما يتفق كل أفراد الشعب على تحقيق خيرهم المشترك ينشأ بينهم ميثاق اجتماعي، إنه ليس اتفاق بين الأعلى والأدنى، وإنما اتفاق بين أفراد متساويين؛ لذلك يتصف هذا الميثاق بمجموعة من الصفات؛ أهمها: أنه شرعي لأنه اتفاق اجتماعي أقره الجميع باختيارهم الحر، وأنه عادل لأنه مشترك بينهم ويهدف إلى تحقيق المساواة للجميع، وهو نافع لأنه ليس له غرض سوى تحقيق الخير العام، وهو متين لأن الشعب هو صاحب السلطة العليا ولا يخضع إلا إلى إرادته هو. وكلما كان نظام الدولة صالحاً كان هناك تفضيل للأعمال العامة على الأعمال الخاصة في نفوس المواطنين، وذلك لأن الثمار التي سيجنيها كل مواطن من تحقيق السعادة العامة سوف تكون أكبر من الثمار التي سيتم جنيها عندما يسعى كل مواطن إلى تحقيق مصلحته الخاصة[2].

وبذلك تصبح الغاية من وجود المخلّص السياسي في صورة الشعب عند روسو، هي أن يتمكن هذا الشعب بنفسه من تحقيق الخير العام والصالح المشترك، وأن تتكاتف كل الجهود لتحقيق هذا الغرض.

أما كانط فقد رأى أن الوسيلة التي ستمكن الشعب من تحقيق الخلاص السياسي، هي: وضع دستور جمهوري، إنه الدستور الوحيد الذي يجب الاعتماد عليه في تشريع القوانين التي سيخضع لها الشعب، ذلك أنه يكفل الحرية والمساواة لجميع المواطنين[3].

١ المرجع نفسه، ص ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ١٢٦ ، ١٢٧.

٢ المرجع نفسه، ص ٥٩ ، ١٢٥.

٣ كانت، مشروع السلام الدائم، ترجمة: عثمان امين، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٢، ص ٤١ ، ٤٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي ظل هذا الدستور الجمهوري سوف تتحقق السعادة لكل فرد من أفراد الشعب، وذلك لإحساسهم بأنهم هم الذين يصنعون مصيرهم، ولا يقوم بهذه المهمة غيرهم[1].

وفي ظل هذا الدستور الجمهوري أيضًا يرتبط الناس بعضهم مع بعض مكونين إرادة جماعية، وبذلك يشعر الفرد بأنه صاحب السيادة، وأنه لا يطيع إلا نفسه، ومن ثم يصبح المواطنون جميعًا أصحاب السيادة في الدولة[2].

هنا يتفق إدموند بيرك مع كانط في أن الوسيلة التي ستمكن الشعب من تحقيق الخلاص السياسي، أن يصبح هو المشرع الحقيقي الوحيد، وذلك لأن الشعب هو الذي يصنع عاداته وتقاليده، وبالتالي فإنه صاحب السيادة في الدولة. إن مهمة رجال السياسة هي تنفيذ رغبات هذا الشعب، ولأن هذا الشعب هو المشرع الحقيقي، وهو الذي يضع أهدافه ويطورها، فإن الدستور الأفضل لا يجب أن تكون له غاية محددة نهائية، وإنما يجب أن يكون قادرًا على استيعاب تنوع الأهداف وتجددها[3].

كذلك فإن السبب الذي دفع توماس بين إلى البحث عن المخلّص السياسي في صورة الشعب، هو أن السيادة لا تنسب إلا إلى الأمة، ولا تنسب إلى أي فرد، وللأمة الحق في أن تلغي أي شكل من أشكال الحكومة تجده غير مناسب، وتؤسس حكومة تتفق مع مصالحها وميولها وسعادتها. وذلك لأن الحكومة لا تكون أكثر من وكيل عن الشعب، ومن ثم فالسيادة

---

١ ليو شتراوس وجوزيف كروبسي، تاريخ الفلسفة السياسية، الجزء الثاني من جون لوك إلى هيدجر، ترجمة: محمود سيد أحمد، مراجعة: أمام عبد الفتاح، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥ ، ص ١٩٧.

٢ المرجع نفسه، ص ١٩٨ .

٣ المرجع نفسه، ص ٣٢٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوحيدة هي السيادة الشعبية، وبذلك يحكم الناس أنفسهم، ويحققون أهدافهم ومصالحهم[1].

والسبب الذي دفع روبرت دال إلى البحث عن المخلّص السياسي في صورة الشعب، هو أننا لا يمكن أن نثق في أوصيائنا المزعومين، ولا يمكن أن نطمئن إلى أنهم يحققون المنفعة العامة لا مصالحهم الشخصية. وهنا يؤكد دال أن القول بوجود أوصياء يتنافي مع مبدأ السيادة الشعبية، ومن ثم لابد من رفض الوصايا في الشئون العامة؛ لأنها تعوق النمو الطبيعي للطاقات الأخلاقية للشعب بأكمله. فمن خلال إشراك أفراد الشعب في عملية حكم ذاتهم، ورفض أن تقوم مجموعة محددة من الأفراد بهذه المهمة، فإنهم جميعًا يتعلمون كيفية التصرف بوصفهم أفرادًا مسئولين أخلاقيًا، وهذه المسئولية المشتركة تمكنهم من صنع قرارات تتعلق بمبادئهم، وقواعدهم، وقوانينهم، وسياساتهم، ونهجهم العام، وكل ما يتعلق بأمور حياتهم[2].

ولكي يتحقق للشعب الخلاص السياسي يجب أن يتصف بمجموعة من الصفات؛ أهمها: امتلاك القدرة على حكم ذاته، واحترام القوانين التي اختارها بنفسه، وامتلاك القدرة على تقرير مصيره، ولا يمكن للبشر تحقيق ذلك من خلال العيش في حالة من العزلة، ولكي يتم التمتع بحياة مرضية يجب أن يحيا بعضهم مع بعض[3].

[٣] - المخَلّص السياسي في صورة الإنسان الأعلى : -

أما الصورة الثالثة للمخلّص السياسي فلم يلتفت أصحابها إلى تجسيد المخلّص في شخص الحاكم دون سواه، أو إلى تجسيده في صورة كل

---

١ المرجع نفسه، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ .

٢ روبرت دال، الديمقراطية ونقادها، ترجمة: نمير عباس مضفر، مراجعة: فاروق منصور، بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٣.

٣ المرجع نفسه، ص ١٥٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أفراد الشعب، وإنما اهتموا بأن يكون هذا المخلّص السياسي متجسداً في مجموعة محددة من الأفراد، أهم ما يميزهم أنهم ليسوا كغيرهم من البشر، وإنما يتمتعون بقدرات ومؤهلات تميزهم عن ما سواهم، ومن أبرز المفكرين الذين عبروا عن المخلّص السياسي في صورة الإنسان الأعلى نجد نيتشه(Friedrich Nietzsche)(١٨٤٤ – ١٩٠٠)، وغوستاف لوبون. فقد اتفقا على أن الإنسان الأعلى، هو شخص يتصف بالنبوغ والتفوق ولديه من الصفات والمميزات ما يجعله أرقى من الآخرين، واتفقا أيضًا على أن الوسيلة التي تجعل هذا الإنسان الأعلى يصل إلى هذه المكانة، هو امتلاكه للإرادة القوية التي من خلالها يحدد أهدافه، ويتمكن بما لديه من قدرات ومواهب خاصة من تحقيقها، كما اتفقا على أن خلاص المجتمع كله مرهون بوجود هؤلاء العظماء، لأنهم دون سواهم القادرون على تحقيق النهوض، والتقدم، وإصلاح أحوال البشر، والارتقاء بها، ومن ثم لكي يتحقق للمجتمع الخلاص يجب أن تمنح لهؤلاء العظماء المكانة اللائقة بهم، وأن يكون الجميع على وعى بأهمية الدور الذي يقومون به، وأن يصبح الجميع معاونين لهم.

وعن السبب الذي جعل نيتشه يبحث عن المخلّص السياسي في صورة الإنسان الأعلى، فيرجع ذلك إلى أنه الشخص الوحيد الذي يمتلك إرادة قوية تمكنه من تخليص ذاته اعتماداً على ذاته، دون اللجوء إلى مساعدة الآخرين.*

وهنا فإن مهمة الإنسان الأعلى هي تخليص ذاته فقط، فهو غير مسئول عن خلاص الآخرين الذين لا يمتلكون إرادة قوية تمكنهم من

* ويعبر نيتشه عن ذلك بقوله" كل الغايات والأهداف والمعاني ما هي إلا تحولات إرادة واحدة ووسائل تعبر بها عن نفسها إرادة ملازمة لكل ما يحدث إرادة القوة". فريدريك نيتشه، إرادة القوة(محاولة لقلب كل القيم)، ترجمة وتقديم: محمد الناجي، المغرب، أفريقا الشرق، ٢٠١١، ص٢٤٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تخليص ذاتهم، لذا يجب الابتعاد عنهم، وتركهم وشأنهم؛ لأنهم تعودوا على الخضوع والاستسلام، وليس هناك جدوى من إصلاحهم[١].*

ويرى نيتشه أن الوسيلة التي ستمكن الإنسان الأعلى من بلوغ هذه المكانة، هي التعليم الذي سيصبح من خلاله مبدعًا ومتميزًا عن الآخرين وذلك بفضل الإرادة القوية التي ستحقق له الخلاص[٢].*

ولكي تكون لديه إرادة قوية تحقق له الخلاص - كما يرى نيتشه - فإن وسيلته إلى ذلك، هي: حب الذات، والاعتماد عليها دون سواها، ويرى نيتشه أن هذه ليست مسألة بسيطة، وإنما تحتاج إلى تدريب وجهد، ووقت طويل، حتى يستطيع أن يرى النور، ويتخلص من الظلمات المحيطة به[٣].

كذلك يرى نيتشه أن الإنسان تم استعباده من قبل أفكار أو اشخاص جعلته مكبلاً بالقيود، وإن على الإنسان الأعلى إذا أراد أن يخلص ذاته، عليه أن يتحرر من كل هذه القيود، وأن يكتشف ذاته بعيداً عن أي مؤثرات اخرى تقوم بتضليله[٤].*

١- فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة: فليكس فارس، الإسكندرية، مطبعة جريد البصير، ١٩٣٨، ص ١٧٤.

* ويعبر نيتشه عن ذلك بقوله" دع الناس يستسلمون لأية يد تشد على خناقهم دعهم يتناحرون ويتضاربون ويتعاملون بالسوء ويتسالخون إياك أن تحرك اصبعاً لردعهم دعهم وما يفعلون". المرجع نفسه، ص ١٧٤. ويقول أيضاً" اعرضوا عن كلمة من" اجل " وتناسوها أيها المبدعون لأن فضيلتكم تتوقف على الا تفعلوا شيئاً من اجل احد وبسبب احد". المرجع نفسه، ص ٢٤٤.

٢- المرجع نفسه، ص ١٧٥.

* ويعبر نيتشه عن ذلك بقوله" لا مخلص إلا الإرادة لأن الإرادة مبدعة هذا هو تعليمي. وعلى الإنسان أن يتعلم ليبدع". المرجع نفسه، ص ١٧٥.

٣- المرجع نفسه، ص١٦١.

٤- المرجع نفسه، ص ١٦٣، ١٦٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهناك مجموعة من الصفات يجب أن يتصف بها الإنسان الأعلى؛ أهمها: أن تكون لديه القدرة على اكتشاف ذاته بالشكل الذي يراه مناسبًا، وأن يعلم بإرادته ما يكون خيرًا له وما يكون شرًا أيضًا، دون التأثر بآراء الآخرين حول الخير والشر، ويجب أن ينظر دائمًا إلى الأمام، ويطمح إلى الأفضل، ولا يستسلم للشعور بالقناعة والرضا عن وضعه الحالي، وإنما يبحث دائمًا عن كل ما يؤدي إلى خلاصه، وارتقائه هادمًا كل السلطات القديمة، وباحثًا عن كل ما هو جديد[1].

من هنا يرى نيتشه أن مهمة الإنسان الأعلى، هي أن يبحث في الحياة عن أفضل ما فيها، لكي يتقدم دائمًا إلى الأمام، ويسير في طريقه ولا يعبأ برأي عامة الناس فيه؛ لأنهم جبلوا على الاستسلام والخضوع، أما هو فقد استطاع أن يقول لا لكل ما يؤمن به العامة ويدافعون عنه، والذي من أهمه المناداة بالمساواة بين كل الأفراد، وهو ما يرفضه تمامًا الإنسان الأعلى المتميز بمواهبه وقدراته على كل هؤلاء الأفراد[2].

أما السبب الذي دفع غوستاف لوبون إلى البحث عن المخَلِّص السياسي في صورة الإنسان الأعلى؛ هو تأكيده على أن الخلاص لن يتحقق إلا من خلال صفوة الرجال؛ وذلك لأنه ليس هناك إصلاح دونهم، فقد رأى أن من مميزات الحضارة التفاوت التدريجي بين أنواع الذكاء، ومن ثم بين المراتب الاجتماعية. وعلى الرغم من النظريات والقوانين التي

* ويعبر نيتشه عن ذلك بقوله" والحق ليس في الحياة من أعباء على الإنسان غير الإنسان نفسه لأنه يوقر كاهله لما لا طائل تحته فهو نفسه قد استناخ كالجمل مسلماً ظهره فاثقل بأشد الأحمال". المرجع نفسه، ص ١٦٣، ١٦٤.

١- المرجع نفسه، ص ١٦٤، ١٦٦.

٢- المرجع نفسه، ص ١٦٩، ٢٤٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تدعو إلى المساواة يزيد التفاوت الذهني وذلك لأنه مشتق من مقتضيات الطبيعة المحررة من سلطة القوانين[1].

يتضح من ذلك أن رقي أي دولة وازدهارها مرتبط بصفوة رجالها، وفي حالة عدم وجود هذه الصفوة الممتازة ينخفض مستوى هذه الدولة انخفاضًا كبيرًا، ويرى غوستاف لوبون أن هذه الصفوة تعبر عن قوة العرق وتفوق الجنس، وهنا يتفق مع نيتشه في تأكيده على أن المخلّص السياسي في صورة الإنسان الأعلى يرتبط وجوده بالأصل الطبقي؛ لأن هؤلاء العظماء هم أبناء الطبقات العليا، حيث ينتج من تزاوجهم أفضل سلالة، وإن كان الاختلاف بينهما يكمن في الدور الأكبر الذي أعطاه نيتشه للتعليم والتدريب الذي سيتلقاه الإنسان الأعلى، لكي يصبح مبدعًا اعتمادًا على ذاته وإرادته القوية. في حين أن غوستاف لوبون قد أعطى الدور الأكبر للأصل الطبقي بوصفه دعامة أساسية لوجود الإنسان الأعلى[2].

كذلك رأى نيتشه أن المخلّص السياسي لا يكون مسئولاً عن خلاص الآخرين، وإن مهمته فقط هي تخليص ذاته والارتقاء بها، في حين أكد غوستاف لوبون على أن المخلّص السياسي في صورة الإنسان الأعلى يكون مسئولاً عن خلاص الآخرين لأنهم هم الذين سيقودون مسيرة التقدم، فهم مسئولون عن كل رقي وازدهار، وتقدم في العلوم، والفنون، والحضارة. وإن كان نيتشه قد أكد على أن خلاص الإنسان الأعلى مرتبط بتحرره من الآراء والمعتقدات السائدة، وهدمه لكل السلطات القديمة نجد أن غوستاف لوبون أكد على أن العبقرية التي يتصف بها صفوة الرجال ليست من قبيل المعجزة، وإنما هي نتاج ماضٍ طويل، فهم خلاصة عظمة عصرهم

١- غوستاف لوبون، روح السياسية، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، ٢٠١٢، ص ٨٩.

٢- غوستاف لوبون، السنن النفسية لتطور الأمم، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، ٢٠١٤ ، ص ١٢١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتفوق عرقهم، وكل مساعدة على تفتحهم وارتقائهم هي مساعدة على التقدم الذي ينتفع به جميع البشر. ويتفق مع نيتشه أيضًا في تأكيده على اننا إذا تركنا أحلام المساواة تعمي أبصارنا كنا أول ضحايا هذه المساواة، فالمساواة لا تؤدي إلا إلى الانحطاط، فهي حلم أصحاب المدارك الهزيلة، هي حلم غامض وثقيل؛ ذلك أنها لم تتحقق إلا في عصور الهمجية[1].

ويؤكد غوستاف لوبون أن مهمة المخَلّص السياسي المتجسد في صفوة رجال السياسة تكمن في أنهم سوف يدلوننا على الطريق الذي يجب ان نسلكه، وذلك لأنهم الأجدر على استيعاب أحداث الماضي، والأجدر على معرفة احتياجات المجتمع، وما يستجد من أمور[2].

وهناك مجموعة من الصفات التي يجب أن يتصف بها المخَلّص السياسي في صورة الإنسان الأعلى في رأى غوستاف لوبون؛ أهمها: العبقرية، والإلمام الواسع بالمعارف النظرية والعملية، وقوة الاستنباط، وملكة التمييز السديدة التي لا تكون إلا لدى أصحاب المبادئ السامية[3].

ويؤكد غوستاف لوبون على أنه لا الدساتير، ولا النظم، ولا الأساطيل، ولا الجيوش هي التي تؤدي إلى التحام اجزاء الأمة وتمنحها عظمة، وإنما قوة الأمة الحقيقية تكمن في مثلها الأعلى، ومثل الأمة الأعلى هو صفوة رجالها القادرين على تحقيق الخلاص لها، ويكون مصيرها الفناء والانهيار عندما تفقد هذا المثل الأعلى[4].

١- المرجع نفسه، ص ١٢١.

٢- المرجع نفسه، ص ١٢٢، ١٢٣.

٣- غوستاف لوبون، روح السياسية، ترجمة: عادل زعيتر، ص ٨٩.

٤- المرجع نفسه، ص٢٥٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

[٤] - المخلّص السياسي في صورة الإنسان الفرد : -

اما الصورة الرابعة للمخلّص السياسي، فلم يقتنع اصحابها بان الخلاص السياسي سوف يتحقق من خلال الاعتماد على سلطة حاكم، او مقدرة شعب، او صفوة ممتازة اعلى من الآخرين، وإنما رأى أصحاب هذه الصورة أن الخلاص هو مسئولية الإنسان الفرد، فعلى كل إنسان أن يختار بمحض إرادته ما سيحقق له السعادة والخلاص، وقد عبر عن هذه الصورة الكثير من المفكرين السياسيين، وابرزهم: جون ستيوارت مل(John Stuart Mill)(١٨٠٦ – ١٨٧٣)، وهارولد لاسكي(Harold Laski)(١٨٩٣ – ١٩٥٠)، وفريدريك هايك(Friedrich August Von Hayek)(١٨٩٩ – ١٩٩٢)، وميشيل اواكشوط، وجان بول سارتر(Jean Paul Sartre)(١٩٠٥ – ١٩٨٠)، فقد اتفقوا جميعًا على أن الخلاص مسئولية فردية، ومعنى ذلك أن كل إنسان مسئول مسئولية كاملة عن ما يحقق له الخلاص، فهو الوحيد الذي يصنع حياته، ويحدد مصيره، ويرسم معالم مستقبله بالشكل الذي يراه مناسبًا اعتمادًا على تجاربه وخبراته، وليس اعتمادًا على تجارب الآخرين وخبراتهم.

واتفقوا ايضًا على أن كل إنسان يجب أن يضع خطة لحياته، ويحدد اهدافه، واولوياته، ويحدد كذلك الوسائل التي تمكنه من تحقيق هذه الأهداف، وتلك الأولويات، وقد أدى بهم ذلك إلى التأكيد على أنه ليس هناك طريقة محددة للخلاص يجب أن يزعن لها الجميع، وليس هناك موجه بعينه تكون عليه مسئولية إرشاد الإنسان إلى ما فيه خلاصه؛ الأمر الذي يعني أن الطرق التي ستحقق الخلاص متعددة، وكذلك الوسائل التي ستؤدي إليه مختلفة باختلاف الأشخاص واختلاف توجهاتهم، ورؤاهم وأهدافهم؛ ذلك أن ما سيحقق الخلاص والسعادة لفرد قد لا يحقق الخلاص والسعادة لغيره؛ لذا فإن هؤلاء المفكرين يرفضون التوحد الذي يجعل الناس نسخًا متشابهة لا فرق فيها بين شخص وآخر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واتفق هؤلاء المفكرون أيضًا على أن الوسيلة التي ستمكن الإنسان الفرد من تحقيق أهدافه، هي أن يتمتع بأكبر قدر من الحرية، لكي يتمكن من أن يحقق الخلاص بذاته ولذاته دون أي عوائق تحول بينه وبين ما يحقق له الخلاص، وبالتالي يجب أن يتحرر من كل القيود سواء كانت هذه القيود متمثلة في سلطة الحاكم، أو إرادة الشعب، أو رغبة المتميزين، أو قيود اجتماعية تجبر الأفراد على الالتزام بها، وعدم الخروج عن ضوابطها.

إن السبب الذي دفع جون ستيورات مل إلى البحث عن المخَلّص السياسي في صورة الإنسان الفرد، هو أن الفرد الذي يترك العالم، أو ذلك الجزء من العالم الذي يعيش فيه يختار خطة حياته بالإنابة عنه؛ ولا يحتاج إلى أي قدرة سوى قدرة المحاكاة أو التقليد، يكون بذلك مثل القردة، أما الذي يختار لنفسه فإنه يستخدم كل قدراته؛ يستخدم الملاحظة ليرى، والاستدلال المنطقي والحكم ليستقرء المستقبل، والنشاط ليجمع المواد لقراره، والتمييز ليتخذ القرار، وبعدما يقرر يحتاج إلى الثبات وضبط النفس ليتمسك بقراره القصدي. وسوف يمارس هذه القدرات عندما يكون سلوكه مطابقًا لحكمه ومشاعره، فإن قيمته كإنسان لا تتحقق إلا عندما يمارس قدراته بالشكل الذي يراه مناسبًا اعتمادًا على فهمه، ودوافعه، ورغباته[1].*

والوسيلة التي ستمكن الإنسان الفرد من تحقيق خلاصه، هي أن تكون رغباته ودوافعه ملكًا له، ولا تكون تابعة لدوافع الآخرين ورغباتهم، وسوف

١- جون ستيوارت مل، عن الحرية، ترجمة: هيثم كامل الذبيدي، منتدى مكتبة الإسكندرية، www.alexandra.ahlamontada.com، ص ٧١ ، ٧٢.

* يعبر مل عن ذلك بقوله" إن الطبيعة البشرية ليست آلة يمكن بناؤها على غرار نموذج معين وجعلها تقوم بالعمل المناط بها بشكل دقيق بل هي شجرة تحتاج أن تنمو وتطور نفسها على كافة النواحي وفقاً لميل القوى الداخلية التي تجعلها شيئًا حيًا".المرجع نفسه، ص ٧١، ٧٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتحقق ذلك عندما يمتلك إرادة فردية قوية وواعية تمكنه من تشكيل حياته، والتوصل إلى أحكامه طبقًا لدوافعه ورغباته الخاصة[1].

ومن الوسائل أيضًا التي ستحقق للإنسان الفرد الخلاص أن يتم السماح للتلقائية والفردية بأن تأخذ المكان الذي يليق بها، سوف يحدث ذلك عندما يتم تحرير الفرد من كل القيود الاجتماعية التي تكبله بأغلالها، تلك القيود التي يضعها المجتمع والآخرون في طريقه، وهنا يؤكد مل أن الخطر الذي يهدد الطبيعة الإنسانية يكمن في عجز الدوافع والتفضيلات الشخصية[2].

لقد أصبح الإنسان أكثر خضوعًا باسم القوانين والنظم الاجتماعية، حيث يعيش تحت عيون الرقابة، وفي ظل هذا الوضع لا يسأل الإنسان عن ما الذي يفضله؟ وما الذي يناسب شخصيته وميوله؟ وما الذي سينمي مواهبه وقدراته، ويمنحها الفرصة للظهور؟ وبدلاً من ذلك يسأل عن ما الذي يفعله الآخرون في العادة لكي يسير في نفس اتجاههم، ويقتفي أثرهم في كل ما يفضلونه؛ وكل ما ينفرون منه، ولكي يتحقق للإنسان الفرد الخلاص يجب أن يتحرر من تلك التبعية للآخرين، ويصنع رغباته ودوافعه الخاصة[3].

يجب أن يتم السماح للأفراد المختلفين بأن يحيوا حيوات مختلفة، ولهذا فإن كلّ ما يعارض الفردية هو في حقيقته استبداد مهما اختلف اسمه الذي يطلق عليه؛ سواء كان يزعم تنفيذ إرادة الله، أو أوامر البشر، فهو يرغب في فرض قواعد عامة للسلوك يلتزم بها الجميع من أجل توحيد آراء الناس وقناعاتهم[4].

١- المرجع نفسه، ص ٧٢، ٧٣.

٢- المرجع نفسه، ص٧٣.

٣- المرجع نفسه، ص ٧٣، ٧٤.

٤- المرجع نفسه، ص ٧٦، ٧٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبنفس المنطق يرى هارولد لاسكي أن السبب الذي دفعه للبحث عن المخلّص السياسي في صورة الفرد، هو: أن للفرد القدرة والحرية في اختيار طريقه الخاص في الحياة دون التعرض لقيود صارمة مفروضة من الخارج، ولا يجب أن تكون القوانين التي يحيا البشر في ظلها عائقًا أمام تحقيقهم لحريتهم وخلاصهم، بل على العكس من ذلك يجب أن تكفل لكل فرد أكبر قدر من الحرية[١].

وهنا يؤكد لاسكي أنه لكي يتحقق الخلاص للفرد لابد من تقييد السلطة السياسية، وذلك بعدم السماح للحكام بتوجيه الناس لما فيه خيرهم وخلاصهم، وإنما يجب أن يعلم هؤلاء الحكام أن مهمتهم هي تنفيذ القوانين التي تمنح لكل فرد الحق في تشكيل حياته بالشكل الذي يراه مناسبًا من خلال ضمان الحرية بوصفها الوسيلة التي ستمكن الإنسان الفرد من تحقيق خلاصه[٢].

إن الفرد يبحث عن السعادة والخلاص، وتعد الدولة بالنسبة له مؤسسة لتيسير إيجاد الحرية له، فهو يقدرها على أساس استجابتها لاحتياجاته التي يحددها من خلال تجاربه الخاصة. وهذه التجارب هي التجارب التي يمر بها، وإن طابعها الفردي هو أهم ما يميزها. فإذا حلت محلها تجارب إنسان آخر كان ذلك انتهاكًا للحرية ويصبح هذا الخلاص هو خلاص الآخرين، وليس خلاصه هو[٣].

ومعنى ذلك أنه لكي يتحقق الخلاص للفرد يجب أن يتم تقدير هذه التجارب الفردية، وذلك بأن يتم السماح للفرد بالإعراب عنها، وإذا أجبر على الصمت، وعدم القيام بأي نشاط لتنفيذها يصبح مخلوقًا أصم أبكم. وبذلك تهمل شخصيته عندما يتم التخطيط للسياسة، وتحديد أولوياتها،

١- هارولد لاسكي، الحريات في الدولة الحديثة، القاهرة، مطابع الإعلانات الشرقية، ١٩٣٧، ص ٥٣، ٥٤.

٢- المرجع نفسه، ص ٥٤، ٥٥.

٣- المرجع نفسه، ص ٩٥، ٩٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن ثم يسلب الإنسان وسيلة حماية نفسه في التنظيم الاجتماعي، ويصبح آلة لأغراض الآخرين[1].

من هنا يرى لاسكي أن جميع القيود المفروضة على حرية التعبير لا تتناسب مع سلامة المجتمع ورخائه، فإذا كانت مهمة من يمارسون السلطة في الدولة هي سد احتياجات المحكومين، وجب عليهم معرفة هذه الاحتياجات، وأنهم لا يستطيعون معرفتها ما لم يتمتع الأفراد بحرية التعبير عن التجارب التي يمرون بها[2].

وتعني الحرية انعدام وجود قيود حول الظروف التي تضمن للفرد التمتع بالسعادة. ولن تكون هناك حرية عندما يتم فرض قيود على الحديث، ولن تكون هناك حرية عندما يتمتع مجموعة من الأفراد ببعض الامتيازات التي لا يتمتع بها غيرهم، ولن تكون هناك حرية عندما تسيطر فكرة متسلطة على العادات الاجتماعية دون اقتناع بمبررات هذه السيطرة. إن تجربة كل فرد ذات طابع فريد، ومن ثم فإنه الوحيد الذي يستطيع فهم دلالة هذه الفكرة بالنسبة له، وعليه فإن الفرد لن يتمتع بحريته ما لم يستطع التصرف بوحي من إحساسه الخاص بهذه الدلالة، وحرمانه من الحرية معناه تجاهل تجاربه، ومعناه أيضًا أن المجتمع يرفض الاعتراف والاستفادة من الدروس التي يرى الفرد أنه تعلمها من الحياة[3].

كذلك يرى فريدريك هايك أن الخلاص السياسي لا يكون إلا من خلال الإنسان الفرد، وذلك لأن مقاييس القيم لا يمكن أن توجد إلا في أذهان فردية، فليس هناك إلا مقاييس جزئية للقيم، وهي مقاييس مختلفة حتمًا وغالبًا ما تتعارض بعضها مع بعض. لذلك يجب أن يسمح للأفراد بأن يتبعوا قيمهم وتفضيلاتهم هم أنفسهم، لا قيم أي شخص آخر، كما يجب أن يسعى كل فرد إلى تحقيق أهدافه وغاياته التي يحددها بنفسه،

١- المرجع نفسه، ص ٩٦.

٢- المرجع نفسه، ص ٩٦، ٩٧.

٣- المرجع نفسه، ص١٤٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا يكون خاضعًا لأي توجيه من آخرين حول ما يحقق له السعادة والخلاص[1].

وهناك وسيلة واحدة يتم الاعتماد عليها لكي يتحقق للفرد السعادة والخلاص؛ هي أن يتم الاعتراف به بوصفه الحكم النهائي لأعماله وأهدافه، والإيمان بأن آراءه الخاصة هي التي تحدد طريقته في الحياة[2].

ولكي يتحقق للإنسان الفرد الخلاص يجب أن يتم إزالة العقبات التي تقف في طريقه، وتحول بينه وبين تحقيق متطلباته وأهدافه، وأن نطلق الطاقة الإبداعية للأفراد بدلاً من أن نبتكر جهازًا آخر لإرشادهم وتوجيههم، وأن نوجد ظروف مواتية للتقدم بدلاً من أن نخطط لنوع بعينه من التقدم[3].

وقد رأى ميشيل أواكشوط أيضًا أن الخلاص السياسي لا يتحقق إلا من خلال الإنسان الفرد، وذلك اعتمادًا على تفسيره للسلوك الإنساني الذي يقوم - في رأيه - على مجموعة من المسلمات؛ أهمها: الفعل الذي يكون استجابة لموقف مؤقت مرتبط بنتيجة متخيلة ومرجوة، والوعي الفكري الذي يتألف كلية من مدركات الفاعل، ومما يفهمه عن نفسه، والفاعل الذي سيقوم بالفعل المناسب لرغباته وأهدافه[4].

ولكي يتحقق للإنسان الفرد الخلاص يجب أن يكون الفاعل حرًا، وأن تكون أفعاله ناتجة من فهمه لمواقفه، وليست مفروضة عليه من أي سلطة

١- ف . ا . هايك، الطريق إلى العبودية، ترجمة: محمد مصطفى غنيم، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٤، ص ٧٧.

٢- المرجع نفسه، ص ٧٧، ٧٨.

٣- المرجع نفسه، ص٢٢١.

٤- Michael Oakeshott , On Human Conduct, Oxford: Clarendon press, 1975, p.36.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خارجية. وهذا الفهم يصل إليه اعتماداً على الخبرات والتجارب الخاصة التي يمر بها، والتي تجعله على وعي بما يتقبله، وما لا يتقبله[1].

كما يجب أن يترك للفرد الحرية التامة في القيام بأفعاله؛ لأن هذه الأفعال هي التي ستحقق له السعادة والخلاص، وإذا رأى أن الأفعال التي يقوم بها لا تحقق له نتائج مرضية، فإنه الوحيد الذي يمكنه معرفة علة ذلك؛ الأمر الذي يكون دافعاً له لأن يغير مسار اتجاه فعله، ذلك أن أفعاله لا تتصف بالثبات والجمود، وإنما هي متغيرة ومتجددة على الدوام لتتلاءم مع أهدافه ومتطلباته المتجددة والمتغيرة، وسوف ينجح الفاعل في ذلك لأنه متسم بالذكاء ولديه الإرادة التي تؤهله ليكون أفضل دائماً[2].

إن الفاعل عندما يقوم بالفعل يتخيل، ويتمنى، ويسعى إلى تحقيق النتائج المرضية بالنسبة له، ويكون ذلك من خلال معالجة جوانب النقص التي تسببت في عدم تحقيق الرضا الذي يطمح إليه. ومعنى ذلك أن الفرد هو الذي يفهم ويعي جيداً ما الذي سيحقق له الخلاص والرضا، وما هي الأفعال التي سيقوم بها بمحض اختياره ليتحقق له ذلك[3].

وهنا يؤكد أواكشوط أن الوسيلة التي ستحقق للإنسان الفرد الخلاص، هي أن يتمتع باستقلالية تامة، والتي تجعل الفاعل لا يرتبط إلا بوعيه الفكري المتآلف من المشاعر، والعواطف، والدوافع، والمؤثرات، والإدراكات، والمعتقدات، والقناعات، والطموحات المكتسبة الخاصة به، ومعرفته عن ذاته وعن العالم الذي يحيا فيه الذي حوله إلى أمنيات، ثم وضع الأمنيات في حيز التنفيذ من خلال اختياراته الحرة للأقوال والأفعال التي ستحقق له هذه الأمنيات[4].

١- Ibid , p. 36 ,37.

٢- Ibid , p .38 , 39.

٣- Ibid , p . 39.

٤- Ibid , p . 40.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كذلك يؤكد جان بول سارتر ان الخلاص السياسي لن يتحقق إلا في صورة الإنسان الفرد، وذلك لأن الإنسان يوجد أولاً ثم يتعرف على نفسه، ويحتك بالعالم الخارجي فتكون له صفاته، ويختار لنفسه أشياء هي التي تحدده، إنه لن يكون إلا سوى ما قدره لنفسه، إنه يكون ما يريده، إنه ليس سوى ما يصنعه هو بنفسه؛ إن الإنسان ليس شيئًا جامدًا كالحجارة أو المنضدة، إنه يعي ذاته، ويصنع حياته، ويخطط لمستقبله[١].

وهنا يرى سارتر أن الوسيلة التي ستحقق للفرد الخلاص، هي أن يحقق لنفسه الوجود، ولن يتمكن من ذلك إلا عندما يكون كما يهدف أن يكون؛ أي عندما يتمكن من تحقيق أهدافه التي اختارها بنفسه، فالإنسان مسئول عن ما هو عليه، فكل فرد وصيٌ عن نفسه، ومسئولٌ عن أفعاله مسئولية كاملة[٢].*

وهنا يؤكد سارتر أنه عندما يقوم كل فرد باختيار أسلوب حياته، فإننا نشترك جميعًا في جعل عالمنا أفضل، لأن ذلك تأكيد لقيمة ما نختاره وإعلاءٌ من شأنه، وكأننا نقول لكل الناس: اختاروا مثلما اخترنا فنحن لا يمكن أن نختار الشر لأنفسنا، وما نختاره دائمًا هو خير لنا، ومن ثم خير لكل الناس[٣].

وعندما يحقق الفرد خلاصه، فإن ذلك يكون تأكيدًا على أنه يصنع مصيره بيده، وسوف يؤدي به ذلك إلى العمل المستمر لكي يحقق الصورة

١- جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، ترجمة: عبد المنعم الحفني، القاهرة، مطبعة الدار المصرية للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٦٤، ص ١٤، ١٥.

٢- المرجع نفسه، ص١٥.

* ويعبر سارتر عن ذلك بقوله" إن الإنسان ليس إلا مشروع الوجود الذي يتصوره ووجوده هو مجموع ما حققه وهو نفسه ليس إلا مجموع أفعاله ومجموع أفعاله هي حياته فهو مجموع أفعاله وهو حياته". المرجع نفسه، ص ٣٨ ، ٣٩.

٣- المرجع نفسه، ص ١٦، ١٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التي رسمها لنفسه، فالعمل هو سبب استمرار الإنسان في الحياة، إلى اعتراف بكرامة الإنسان، وبأنه ليس مجرد شيء من الأشياء[1].*

[٥] – المخَلّص السياسي في صورة الدولة : –

أما الصورة الخامسة للمخَلّص السياسي، فإن أهم ما يميزها هو اختلافها عن كل الصور السابقة التي نظرت إلى الخلاص السياسي على أنه مسئولية الإنسان، وإن كانت قد اختلفت حول من هو هذا الإنسان، فرأى بعض المفكرين أنه الحاكم، ورأى آخرون أنه الشعب، ورأى فريق ثالث أنه الإنسان الأعلى، وذهب الفريق الرابع إلى أنه الإنسان الفرد. أما في هذه الصورة فإن الخلاص السياسي لا يكون مسئولية الإنسان بهذه التجسيدات المختلفة، وإنما يرتبط الخلاص بوجود الدولة، الدولة التي تضم كل هؤلاء الأفراد، ومن أبرز من عبر عن هذه الصورة في العصر الحديث نجد هيجل(Hegel)(١٧٧٠ – ١٨٣١) الذي رأى أن الخلاص السياسي لن يتحقق إلا بوجود الدولة بوصفها كيانًا معنويًا، وأكد على أن الدولة لا تستمد أهميتها من وجود مواطنيها، وإنما على العكس من ذلك فإن المواطنين يستمدون أهميتهم من كونهم أعضاء في الدولة.

أما السبب الذي دفع هيجل إلى البحث عن المخَلّص السياسي في صورة الدولة، فيرجع إلى تأكيده على أن وجود الدولة سابق على وجود الأفراد، ومن ثم فإن خلاصهم مرتبط كل الارتباط بوجودها، حيث إن مواطني الدولة يستمدون قيمتهم، وأهميتهم، وحريتهم من كونهم أعضاء في الدولة. إن الدولة هي التي تعبر عن ماهية الفرد، ويجب أن تكون

١- المرجع نفسه، ص ٤٤، ٤٥.

* ويعبر سارتر عن ذلك بقوله" وإذا اعترف الإنسان مرة بأنه مبدع القيم وخالقها فإنه لن يطلب إلا شيئًا واحدًا فقط: وهو الحرية: سينادي بالحرية أساسًا لكل القيم". المرجع نفسه، ص ٥٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الغاية من كل نشاط يقوم به، وهذه الغاية لها حق أسمى وأعلى من الفرد، لأن واجب الفرد الأسمى، هو أن يكون عضو في الدولة[1].*

وفي ضوء ذلك يؤكد هيجل أننا إذا جعلنا الغاية من الدولة هي تحقيق الأمن، والحفاظ على الملكية الخاصة، والحرية الشخصية، فإن مصلحة الأفراد تصبح هي الغاية النهائية التي اجتمعوا من أجلها، وينتج من ذلك أن تصبح عضوية الدولة مسألة اختيارية، لكن الأمر بخلاف ذلك؛ إذ إن علاقة الفرد بالدولة شيء مختلف تمامًا، فمادامت هي الروح، وهو عضو من أعضائها، فإن ذلك يعني أنه لا وجود حقيقي له، ولا فردية أصيلة له ايضًا، أو حياة أخلاقية إلا من خلالها، ومن ثم فإن غاية الفرد هي الاتحاد بالدولة، وأن يحيا في ظلها حياة كلية جماعية، فأي إشباع أو نشاط يقوم به لابد أن يستمد من هذه الحياة الكلية الجوهرية المشروعة التي هي نقطة بداية الفرد ونهايته، والدولة هي الكلى الذي يضم كل الإشباعات، والإرضاءات، والأنشطة الجزئية التي تندرج تحتها[2].

من هنا يرى هيجل أن وجود الحرية وتحققها الفعلي مرتبط بوجود الدولة، فالفردية الشخصية ومصالحها الجزئية لا تنجز تطورها الكامل؛ ولن تحظى بالاعتراف العلني بحقها إلا عندما تنتقل من الاهتمام بمصلحتها الخاصة إلى الاهتمام بمصلحة الكل، بل إنها تصبح هي الكلي وتعترف به على أنه روحها وجوهرها، فهو الغاية والهدف، وبذلك تصبح نشطة في سعيها؛ فالأفراد لا يعيشون كأشخاص منعزلين يهتمون فقط بغاياتهم الخاصة، وإنما بنفس فعل الإرادة التي يريدون بها هذه الغايات

١- هيجل، أصول فلسفة الحق، ج١، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٦، ص ٤٩٧.

* ويعبر هيجل عن ذلك بقوله" الدولة هي الوجود بالفعل للفكرة الأخلاقية فهي الروح الأخلاقي من حيث هو إرادة جوهرية تتجلى وتظهر وتعرف وتفكر في ذاتها وتنجز ما تعرف بمقدار ما تعرف". المرجع نفسه، ص٤٩٧.

٢- المرجع نفسه، ص٤٩٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يريدون الكلي ونشاطهم لا يستهدف عن وعي إلا غاية كلية، وهي غاية الاتحاد بالدولة[1].

إن غاية الدولة هي المصلحة الكلية، وفي سعيها لتحقيق هذه الغاية تحقق المصالح الجزئية ما دامت المصلحة الكلية هي جوهر هذه المصالح[2].

إن الصفة الأساسية للدولة بوصفها كيانًا سياسيًا هي وحدتها الجوهرية، وإن السلطات الجزئية ووظائفها المختلفة ترتبط بهذه الوحدة الكلية، فمن هذا الكل تنبع هذه السلطات الجزئية، وبما أن الدولة هي روح الأمة فإنها القانون الذي يتغلغل في جميع العلاقات داخل الدولة[3].

ومن هنا فإن سيادة الدولة تعتمد على التأكيد على أن الوظائف الجزئية والسلطات في الدولة لا توجد بذاتها أو يتم تأسيسها بناءً على إرادة الأفراد الجزئية، وإنما ترجع في الأساس إلى وحدة الدولة بوصفها كيانًا كليًا[4].

وهنا يؤكد هيجل أن الإقرار بأن كل شخص وفرد يجب أن يشارك في اتخاذ القرارات السياسية ذات الاهتمام العام على أساس أن جميع الأفراد هم أعضاء في الدولة، وأن اهتماماتها هي اهتماماتهم، وأن من حقهم أن ما يتم فعله يتم بعلمهم وإرادتهم، هذا القول يعادل الاقتراح بوضع العنصر الديمقراطي بدون أي صورة عقليّة داخل الكيان العضوي للدولة في الوقت الذي لا تكون فيه هي دولة إلا بفضل امتلاكها لهذه الصور فقط، إذ بها وحدها تصبح الدولة كائنًا عضويًا. إن الفرد يجب أن لا يوضع في

١- المرجع نفسه، ص ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧.

٢- المرجع نفسه، ص ٥١٢.

٣- المرجع نفسه، ص ٥٤٠ ، ٥٣٨.

٤- المرجع نفسه، ص ٥٤٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاعتبار السياسي، إلا من حيث أنه يحتل مكانة محددة في هذا الكائن العضوي[1].

[٦] – المخَلّص السياسي في صورة أيديولوجيا : –

أما الصورة السادسة للمخَلّص السياسي فقد رأى أصحابها أن الخلاص السياسي سوف يتحقق من خلال تطبيق أيديولوجيا بعينها، لأن بداخلها العلاج المطلوب لكل الأزمات والأمراض الموجودة في المجتمع. وقد عبر عن هذه الصورة الكثير من المفكرين السياسيين الذين قدموا لنا أيديولوجيات متعددة، وقد رأى أنصار كل أيديولوجيا أن الأيديولوجية التي يعتنقونها ويدافعون عنها هي التي يكون بمقدورها تحقيق الخلاص دون غيرها، ومن أبرز المفكرين الذين عبروا عن هذه الصورة نجد كارل ماركس(Karl Marks)(١٨١٨ – ١٨٨٣)، وأندرو هيود، فقد اتفقنا على أن الأيديولوجيا هي النمط الفكري الذي يعبر عن الإنسان والمجتمع، وأن بداخلها التفسير الحقيقي لكل الوقائع؛ لذا فعلى المجتمع أن يطبق هذه الأيديولوجيا بكل متضمناتها حتى يتحقق له الخلاص.

كما اتفقا أيضًا على أن الأيديولوجيا تتسم بالشمولية، فهي منظومة فكرية متكاملة، ذلك أنها تحتوي على المسلمات الأساسية التي تفسر الوقائع السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وهذه الشمولية تجعلها قادرة على النظر إلى المجتمع نظرة كلية. فهي تبدأ من مقدمات يقينية وتنتهي إلى نتائج يقينية وبالتالي فإن دورها يكمن في توجيه المجتمع وإرشاده إلى ما فيه خلاصه لما تقدمه من حلول فعالة يؤدي تطبيقها إلى النهوض بالمجتمع في كل المجالات.

١- ليو شتراوس وجوزيف كروبسي، تاريخ الفلسفة السياسية، الجزء الثاني من جون لوك إلى هيدجر، ص ٣٨١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما السبب الذي دفع كارل ماركس إلى البحث عن المخلّص السياسي في صورة الأيديولوجيا، فيرجع إلى تأكيده على أن البشر على مر العصور قد اتخذوا تصورات خاطئة عن أنفسهم، وعن ماهيتهم، وعن ما يجب أن يكونوا عليه؛ لذلك لابدّ من أن يتم تحريرهم من الأوهام والأفكار، والعقائد، والكائنات الخيالية التي يدينون لها بالولاء والطاعة. والوسيلة التي سيتحقق من خلالها الخلاص هي التمرد على مثل هذه الأفكار، وأن يتم تعليم البشر أن يضعوا مكان هذه الأوهام افكاراً تعبر عن طبيعتهم وماهيتهم الحقيقية[1].

وهنا يؤكد ماركس أن الأيديولوجيا التي يرغب في تطبيقها تتصف بمجموعة من المميزات، أهمها: أنها نابعة من الواقع الذي يحياه الناس، وأن مقدماتها لا تستند على أسس اعتباطية، وإنما على أسس واقعية، فهي المعبر الحقيقي عن نشاط الأفراد، لأنها تركز على شروط وجودهم المادية، وهذا العنصر المادي هو المعبر عن كل نشاط إنساني؛ وبالتالي يكون من أهم مميزاتها أيضًا أنه يمكن التحقق من الأسس التي تقوم عليها بطريقة تجريبية خالصة؛ لأنها تتعامل مع كائنات بشرية حية؛ ومن ثم فإن من واجب أي تاريخ أن ينطلق من هذه الأسس الطبيعية وما يطرأ عليها من تغيير نتيجة فعل البشر في سياق التاريخ[2].

وهنا يؤكد كارل ماركس أن إنتاج الأفكار، والتصورات، والوعي يكون مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالنشاط المادي والتعامل المادي بين البشر؛ لأنه لغة الحياة الواقعية، وبالتالي فإنه المسئول عن تحديد لغة السياسة، والقوانين، والأخلاق، والدين عند شعب من الشعوب. فالبشر هم منتجو

١- كارل ماركس، فريدريك انجلز، الأيديولوجيا الألمانية، ترجمة: فؤاد أيوب، دمشق، ١٩٧٦، ص ١٩.

٢- المرجع نفسه، ص ٢٤، ٢٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تصوراتهم وأفكارهم، وهم الفاعلون الحقيقيون الذين يرتبطون معًا بعلاقات الإنتاج المادي[1].

من هنا يرى ماركس أنه لا يمكن تحرير الإنسان إلا في العالم الواقعي، وبوسائل واقعية. فإنه لا يمكن إلغاء العبودية دون الآلة البخارية، والنول الآلي ودولاب الغزل، ولا إلغاء الرق دون تحسين الزراعة؛ ومن ثم وبشكل أعم لا يمكن تحرير البشر ما داموا لا يتمكنون من الحصول بصورة تامة على المأكل، والمشرب، والمسكن، والملبس بنوعية وكمية مناسبتين. إن التحرير فعل تاريخي، وليس فعلاً ذهنيًا، فهو يتحقق بفضل شروط تاريخية مرتبطة بتقدم الصناعة، والتجارة، والزراعة[2].

وإذا تساءلنا عن الأيديولوجيا المحددة التي ستقوم بدور المخَلّص السياسي عند ماركس، نجد أنها الشيوعية بوصفها الوسيلة التي يتم من خلالها القضاء على الملكية الخاصة، لأنها العلة المسئولة عن اللامساواة، وعن كل الكوارث الاجتماعية التي نتجت من احتقار القلة لوسائل الإنتاج. وبذلك تصبح الشيوعية الحل الحقيقي للنزاع بين الإنسان والطبيعة، وبين الإنسان والإنسان[3].

وهنا يؤكد ماركس أن الشيوعية ليست أوضاعًا ينبغي إقامتها، أو مثلاً أعلى ينبغي للواقع أن يتطابق معه، وإنما هي حركة واقعية تقوم على إلغاء الأوضاع القائمة حاليًا، ومن ثم فإن مبادئها تنتج من المقدمات الموجودة في الوقت الحاضر[4].

١- المرجع نفسه، ص ٣٠.

٢- المرجع نفسه، ص ٣٢، ٣٣.

٣- كارل ماركس، مخطوطات كارل ماركس، ترجمة: محمد مستجير مصطفى، القاهرة، دار الثقافة الجديد، ١٩٧٤، ص ٧٨ ، ٩٦.

٤- كارل ماركس، فريدريك انجلز، الأيديولوجيا الألمانية، ترجمة: فؤاد أيوب، دمشق، دار دمشق، ١٩٧٦، ص ٤٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبذلك تختلف الشيوعية عن جميع الحركات التي سبقتها حتى الآن لقدرتها على قلب أساس جميع علاقات الإنتاج، وبالتالي فإن الأوضاع التي تعالجها الشيوعية هي الأساس الحقيقي الذي يجعل من المحال وجود أي شيء مستقل عن الأفراد، ومن ثم تصبح للشيوعية مهمة محددة لكي تتمكن من تحقيق الخلاص، هي تنوير العالم القائم، ومواجهة الأوضاع الراهنة وتحويلها عمليًا[1]. وذلك من خلال التخطي الإيجابي للملكية الخاصة للتخلص من كل اغتراب، ولكي يعود الإنسان إلى أسلوب وجوده الإنساني المتمثل في الوجود الاجتماعي[2]. وعندما تتغير أوضاع الناس المعيشية وحياتهم الاجتماعية، تتغير أيضًا تصوراتهم، ومعتقداتهم، وأفكارهم، ومن ثم يتغير وعيهم[3].

كذلك يؤكد اندرو هيود على أن الأيديولوجيا هي الوسيلة التي يتم من خلالها تحقيق الخلاص السياسي، ويرجع ذلك إلى تأكيده على أن جميع الناس مفكرون سياسيون سواء علموا بذلك أم لم يعلموا، فإن جميع الناس يستخدمون المفاهيم والأفكار السياسية، حينما يعبرون عن آرائهم، أو يصرحون بما في أذهانهم. فنجد في لغة الحياة العادية مصطلحات؛ مثل: الحرية، والإنصاف، والمساواة، والعدالة، والحقوق. وكذلك يوظف الناس بعض الكلمات بشكل مختلف مثل محافظ، وليبرالي، واشتراكي، وشيوعي، وفاشي لوصف آرائهم، أو وصف آراء غيرهم[4].

وهنا يؤكد هيود أن الأيديولوجيا السياسية كانت مكونًا جوهريًا لتاريخ العالم لأكثر من قرنين من الزمان، وأن الأيديولوجيا قد خرجت

١- المرجع نفسه، ص ٣٤، ٧٨.

٢- كارل ماركس، مخطوطات كارل ماركس، ترجمة: محمد مستجير مصطفى، ص ٩٧.

٣- كارل ماركس، فريدريك أنجلز، بيان الحزب الشيوعي ، ١٨٤٨، ص ١٦.

٤- اندرو هيود، مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية، ترجمة: محمد صفار، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٢، ص ٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من الثورات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية التي شكلت العالم الحديث، وكذلك ارتبطت الأيديولوجيا ارتباطًا وثيقًا بالعملية المستمرة التي تهدف إلى تحقيق تحول اجتماعي وتنمية سياسية. ورغم أن بدايات ظهور الأيديولوجيا كانت في الغرب الصناعي، فإنها انتشرت فيما بعد في كل أرجاء العالم محددة لغة الخطاب السياسي على مستوى العالم[١].

ويرى هيود أن الأيديولوجيات السياسية تتصف بمجموعة من المميزات؛ أهمها: أنها ليست مجرد انعكاس سلبي للمصالح المبتغاة، أو الطموح الشخصي بل تتمتع بالقدرة على إلهام وإرشاد الفعل السياسي ذاته، ومن ثم تستطيع تشكيل الحياة المادية. كذلك فإن الأيديولوجيات السياسية لا تنشأ من فراغ، ولا تسقط من السماء كالمطر، وإنما تتشكل كل الأفكار السياسية من الظروف السياسية والاجتماعية التي تخدمها، ومعنى ذلك أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين النظرية السياسية والممارسة السياسية، وأن أي وصف متوازن للحياة السياسية يجب أن يقر بالتفاعل الثابت بين الأفكار والأيديولوجيات من جهة، والقوة التاريخية والاجتماعية من جهة أخرى[٢].

وبذلك تؤثر الأيديولوجيات والأفكار السياسية على الحياة السياسية؛ ذلك أنها تقدم منظوراً يتم فهم العالم وتفسيره من خلاله، فلا يرى الناس العالم كما هو، ولكن كما يتوقعونه أن يكون، إنهم يرونه عبر حجاب من المعتقدات والأفكار المتأصلة، حيث يعتنق كل شخص بوعي أو دون وعي منه مجموعة من المعتقدات والقيم السياسية التي توجه سلوكه، وتؤثر على تصرفه، وبذلك تحدد الأيديولوجيات والأفكار السياسية الأهداف الملهمة للفعل السياسي[٣].

١- المرجع نفسه، ص ٤٠٥.

٢- المرجع نفسه، ص١١.

٣- المرجع نفسه، ص١١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كذلك تساعد الأفكار السياسية على تشكيل طبيعة السياسة، لأن نظم الحكم تكون مختلفة في ارجاء العالم، ويرجع ذلك إلى نوعية الأيديولوجيات السياسية التي يتم التعويل عليها في تشكيل هذه النظم وأهم المبادئ والقيم التي تستند إليها هذه الأيديولوجيات السياسية. فقد قامت الملكيات المطلقة على أفكار دينية راسخة؛ مثل الحق الإلهي المقدس للملوك، وتتأسس النظم السياسية في البلدان الغربية المعاصرة على مجموعة من المبادئ الديمقراطية الليبرالية، وبنفس الطريقة اتبعت النظم السياسية الشيوعية مبادئ الماركسية اللينينية[1].

ومن مزايا الأيديولوجيات السياسية أيضًا أنها تصنع نوعاً من الترابط الاجتماعي، لأنها تزود المجتمعات بمجموعة من المعتقدات والقيم التي تقوم بتوحيدها، وقد ارتبطت الأيديولوجيات السياسية بطبقات اجتماعية معينة فعلى سبيل المثال ارتبطت الليبرالية بالطبقات الوسطى والأيديولوجية المحافظة بالطبقة الأرستقراطية، والاشتراكية بطبقة العمال. وبذلك تعبر الأيديولوجيات عن الخبرات الحية، والمصالح والتطلعات المرتبطة بطبقة اجتماعية معينة، وبذلك تساعد على تعزيز الانتماء والتضامن. ويمكن للأيديولوجيات أيضًا أن تنجح في ربط الجماعات والطبقات المختلفة داخل المجتمع، فعن طريق تزويد المجتمع بثقافة سياسية موحدة تساعد الأيديولوجيات السياسية على دعم النظام والاستقرار الاجتماعي[2].

وبذلك تصبح الأيديولوجيا مجموعة متماسكة من الأفكار تضع أساسًا للنشاط السياسي المنظم، سواء بهدف الحفاظ على النظام القائم، أو تعديله، أو الإطاحة به. وتشترك الأيديولوجيات السياسية في بعض الأمور أهمها: أنها تقدم توصيفًا للنظام القائم، وتقدم انموذجًا للمستقبل المرجو ورؤية للمجتمع الصالح، وتفسر كيفية إحداث التغيير السياسي. ذلك

١- المرجع نفسه، ص ١٢.

٢- المرجع نفسه، ص ١٢، ١٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنها حلقة الوصل بين النظرية السياسية، والممارسة السياسية، لقدرتها على كشف الحقيقة، ومن خلال تزويدنا بلغة الخطاب السياسي، وبمجموعة من الافتراضات والمقدمات عن كيفية عمل المجتمع بالفعل، وما ينبغي أن يكون عليه تقوم الأيديولوجيات بوضع بنية لما نفكر فيه، وللطريقة التي نتصرف بها[1].

ونتيجة لكل هذه المميزات تصبح الأيديولوجيات السياسية الأجدر على تحقيق الخلاص السياسي.

وبذلك يتفق كلٌ من ماركس وهيود في إعلائهما من قيمة الأيديولوجيا بوصفها الوسيلة التي يتم التعويل عليها لتحقيق الخلاص السياسي، ويتفقان كذلك في أن الأيديولوجيات ليست أفكاراً مجردة بعيدة عن الواقع المعيش، وإنما على العكس من ذلك تكون نابعة من هذا الواقع وترتبط به ارتباطًا وثيقًا، لأنها خير تعبير عن هذا الواقع. ونتيجة لقدرتها على الإلمام به تكون قادرة أيضًا على إصلاحه وتغييره إلى الأفضل دائمًا، وتكمن نقطة الاختلاف بينهما في نوع الأيديولوجيا التي رأى كلٌ منهما أنها مسئولة عن الخلاص، ففي حين أن ماركس قد أعلى من قيمة الأيديولوجيا الاقتصادية، لأن العامل المادي في رأيه هو أهم العوامل التي يتم من خلالها تحديد نظام المجتمع، وأكد على أن كل العوامل الأخرى بما فيها العامل السياسي تكون نتيجة مترتبة على الشكل الذي يكون عليه هذا العامل المادي وتطوراته المختلفة التي يتحدد من خلالها الأسلوب السياسي السائد في المجتمع، نجد أن هيود قد أعلى من قيمة الأيديولوجيات السياسية، معلنًا أن العامل السياسي هو أهم العوامل التي تحدد شكل المجتمع وطريقة تفكيره، وأن كل العوامل الأخرى بما فيها العامل المادي يكون تابعًا للأيديولوجيات السياسية.

١- المرجع نفسه، ص٢٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

[٧] – المخَلّص السياسي في صورة الهيمنة العالمية : –

اما الصورة السابعة للمخَلّص السياسي فهي الصورة التي تعبر عن واقعنا المعيش في هذه الأيام، إنها الصورة التي تفرض نفسها على الساحة السياسية، وهذه الصورة هي الهيمنة العالمية. ويجسد هذه الصورة مجموعة من الدول التي رات أن مهمتها ليست قاصرة على تحقيق الخلاص لشعوبها وإصلاح شئون مجتمعاتها، وإنما مهمتها اشمل من ذلك بكثير، فإن عليها واجبًا مقدسًا هو تحقيق الخلاص للبشرية بأكملها، وهذه الصورة ليست جديدة فقد كان لها جذور في الإمبراطوريات القديمة كما في الإمبراطورية الرومانية التي ارادت أن تسيطر على العالم في ذلك الوقت، وهذه الدعوة إلى الهيمنة العالمية لم تقتصر على الإمبراطوريات القديمة، وإنما استمرت على مدار التاريخ، ففي كل حقبة تاريخية نجد بعض الدول والأنظمة التي ترفع شعار الخلاص، وترى أنها المسئول الوحيد عن إنقاذ العالم.

وظهرت هذه الصورة بدرجة أكبر في القرون الأخيرة مع وجود الدول العظمى والتكتلات الكبيرة، التي ترغب في فرض هيمنتها على العالم بأسره، وإن كانت الصورة واحدة إلا أن آليات التنفيذ قد اختلفت بعض الشيء من خلال الرؤى المصاحبة لها، فهذه الدول تعلن أنها لا تسعى إلى الهيمنة بأي حال من الأحوال، وأن هدفها هو تخليص البشرية، فترى نفسها المتحدث باسم الحقوق والحريات التي تفتقر إليها بقية الشعوب الأخرى؛ لذا فإن عليها واجبًا مقدسًا وهو أن تنقذ هذه الشعوب، وأن تطبق القيم التي تؤمن بها هي بالشكل الذي تراه مناسبًا، وهكذا نظرت هذه الدول إلى نفسها على أنها المخَلّص السياسي.

لقد تحدث عديد من المفكرين السياسيين عن المخَلّص السياسي في صورة الهيمنة العالمية، محاولين الكشف عن الأبعاد الحقيقية المصاحبة لها، ومنبهين على الأخطار الناجمة عن ذلك، مؤكدين على رفضهم لكل الادعاءات الكاذبة المصاحبة لها، ومن أبرز هؤلاء المفكرين جان بول

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سارتر، وإريك فروم(Erich Fromm)(١٩٠٠ – ١٩٧٩)، وإدغار موران(Edgar Morin)(١٩٢١ – ٢٠٠١)، والان تورين(Alain Touraine)(١٩٢٥)، وصمويل هنتيجتون(Samuel Huntington)(١٩٢٧ – ٢٠٠٨)، ونعوم تشومسكى(Noam Chomsky)(١٩٢٨)، وامارتيا سن(Amartya Sen)(١٩٣٣)، واولريش بيك (Ulrich Beck)(١٩٤٤)، وجون ميرشامير(١٩٤٧)، حيث اتفق كلٌ هؤلاء المفكرين على أن الصورة الحالية للمخلّص السياسي أصبحت صورة الهيمنة العالمية، واتفقوا كذلك على أن الدول العظمى هي التي تجسد حاليًا دور المخلّص السياسي، وأن السبب الذي يدفع هذه الدول إلى القيام بهذا الدور، هو أن هذه الدول ترى أن لديها من المقدرة والكفاءة ما يؤهلها لحمل لواء هذه المهمة، فقد تمكنت من تحقيق الخلاص لشعوبها من خلال ما أحرزته من تقدم، ونهوض، ورقي في كل المجالات، وأن هذا النجاح الذي حققته في سياستها الداخلية يؤهلها لأن تنقل خبراتها وتجاربها إلى الدول الأخرى التي عجزت عن تحقيق الخلاص لشعوبها، لأنها لا تمتلك الآليات التي تمكنها من القيام بذلك؛ لذا تحتاج إلى مساعدة هذه الدول العظمى لكي ترشدها وتوجهها إلى طريق الخلاص، واتفقوا أيضًا على أن من أهم الادعاءات المصاحبة لهذه الصورة؛ زعم هذه الدول بأنها المدافع الأكبر عن حقوق الإنسان، والتي من أهمها: أن ينعم جميع البشر بالحرية، وأن يحيوا في ظل أوضاع تكفل العدالة والمساواة للجميع اعترافًا من هذه الدول بضرورة الحفاظ على الكرامة الإنسانية، وأن نجاح هذه الدول في كفالة هذه الحقوق لمواطنيها يعني أن بإمكانها أن تكفل هذه الحقوق لكل البشر.

واتفق هؤلاء المفكرون أيضًا على اعتراضهم على المخلّص السياسي في صورة الهيمنة العالمية بسبب الادعاءات الكاذبة المصاحبة لهذه الصورة، فهذه الدول لا تسعى كما تزعم إلى تحقيق الخلاص للبشرية، وإنما تسعى فقط إلى فرض هيمنتها على العالم بأسره، ولا تهدف إلا إلى تحقيق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مصالحها، وفي سعيها إلى هذه الهيمنة العالمية تصبح المنتهك الأول لكل حقوق الإنسان.

وقد رأى سارتر أن الدول العظمى في هذه الأيام بعد أن تحررت معظم الدول والشعوب من الاستعمار الذي فرضته عليهم ترغب في إعادة هذا السيناريو من جديد، وبشكل أكثر دقة فإنها لم تتنازل عن هذا الهدف أبدًا[١].

وهنا يؤكد سارتر أن من أهم الوسائل التي تعتمد عليها هذه الدول للسعي نحو الهيمنة العالمية؛ الاستعمار الاقتصادي الذي فرضته هذه الدول العظمى على أغلب دول وشعوب العالم، فالدول التي لا يوجد بها قوات عسكرية خاصة بهذه الدول العظمى يتم محاصرتها بأشكال أخرى متعددة أشد قسوة وعنف من الوجود العسكري، ومن ثم فإن هذه الدول أصبحت تحرك معظم شعوب العالم بأصابعها كما تشاء، وتسيطر على كل شيء فيها، محاولة بكل الطرق أن تجردها من كرامتها وإنسانيتها في نفس الوقت الذي تدعي فيه أنها جاءت من أجل الإنسانية.

وإلى جانب الاستعمار الاقتصادي الذي جعل الكثير من الدول والشعوب تعاني من الفقر والمذلة ليس فقط على مرأى ومسمع من هذه الدول العظمى، وإنما هي التي تقوم بذلك وتخطط له بشتى الوسائل، هناك أيضًا الاستعمار السياسي، فإن هذه الدول العظمى تتحكم أيضًا في نظم الحكم؛ من يكون في الصورة لأنه حليفها وينفذ أوامرها، ومن يجب ان يختفي لأنه يعارض مصالحها ولا يطيع الأوامر التي يقتصر دوره على تنفيذها، لذا نجد أنها تدعم الدكتاتوريات بكل صورها وأشكالها، ثم نجدها تصرخ معلنة أن هذه الدول وشعوبها يجب أن تتحرر ويجب أن تتخلص من ما تعانيه من ظلم واستبداد، وإذا تساءلنا من المحرر نجد أنها هي فقط التي يكون بإمكانها أن تخلص هذه الشعوب من الظلم والاستبداد الذي

١- فرانز فانون، معذبوا الأرض، (مقدمة بقلم جان بول سارتر)، ترجمة: سامي الدروبي وجمال أتاسي، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥، ص ٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعاني منه، لأنها بمفردها هي التي تعلم ما الديمقراطية، وما السبل إلى تطبيقها، اما هذه الدول والشعوب فعاجزة وبالتالي لا يمكن أن تخلص نفسها، وإنما تحتاج إلى هذه الدول العظمى لكي تنقذها من ما هي فيه؛ لذا فإن هذه الدول لم تكتف فقط بالاستعمار الاقتصادي، والسياسي، والمعلوماتي، وإنما ارادت أن تعيد مرة أخرى الاستعمار العسكري، وترغب في أيامنا هذه بأن تتدخل من جديد عسكريًا في الكثير من الدول والبلدان لكي تعيد المجد القديم، وتفرض سيطرتها على العالم من جديد، وتقسم اجزاءه فيما بينها، فها نحن اليوم نعود مرة أخرى إلى نقطة الصفر، وكأننا نكرر السيناريو، ولكن هذه المرة كذبًا وافتراءً باسم الحرية والديمقراطية[1].

كذلك يؤكد إريك فروم أن هناك قوتين عظمتين تسعى إلى تحقيق الهيمنة العالمية؛ هما الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي، وتزعم كل قوة من هاتين القوتين المتنافستين أن نظامها يؤدي إلى الخلاص النهائي للإنسان، ويضمن فردوس المستقبل. وترى كلّ منهما أن القوة الأخرى تكون مناقضة لها، وبالتالي فإن نظامها يكون عاجزًا عن تحقيق الخلاص للبشرية. فيتحدث الطرف الأول باسم الحرية، والعقل، والفردية، ويتحدث الطرف الثاني باسم التضامن والمساواة، وينجح الطرفان في أسر الخيال،وكسب الولاء المتعصب من مئات الملايين من البشر[2].

أما إدغار موران فقد ذهب إلى أن الخلاص السياسي سوف يتحقق من خلال تكوين مجتمع عالمي يشترك فيه كل البشر، ولكن ما حدث على أرض الواقع ليس وجود مجتمع عالمي، وإنما هيمنة عالمية أحادية الجانب

١- المرجع نفسه، ص ٧، ٨.

٢- إريك فروم، المجتمع السوي، ترجمة: محمود محمود، ٢٠٠٩، ص ٤٨٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا تعترف إلا بمصالحها وأهدافها، وهذه الهيمنة تدعي أن ما تقوم به يكون باسم الإنسانية، غير أن كل ما تفعله يكون منافيًا للإنسانية١.

وعلى الرغم من ذلك يرى إدغار موران انه من الضروري كذلك ان نجمع بين حقيقتين متعارضتين، فإذا صح أن هيمنة الغرب قد كانت هي الأسوأ في تاريخ البشرية، فينبغي القول كذلك أن جميع المكونات الداخلة في تحرير المستعبدين قد نشأت وتطورت في حضن الغرب، وقد مكنت للمستعمرين سبل الانعتاق وقت أن اعتنقت القيم الإنسانية الغربية الأوروبية من حقوق الإنسان، وحقوق الشعوب، وحقوق الأمة، والديمقراطية، وحقوق المرأة. بل يمكننا القول أن التأخر الذي يعرفه قسم كبير من العالم عن الأخذ بأسباب الديمقراطية، وحقوق الإنسان، وحقوق المرأة يعد من أسباب الحالة الخطرة التي تردى إليها العالم الحالي٢.

ولكي يتحقق للبشرية الخلاص يرى إدغار موران أنه ينبغي إحلال سياسة توحد بين أجزاء كوكب الأرض محل السياسة الإمبريالية، إضافة إلى الصين، والهند، وأوروبا، وامريكا اللاتينية، فإن من المهم إنشاء مجموعات كبرى موحدة ستصير أقاليمًا كبيرة في كوكب الأرض، ويصير من بينها مجموع عربي إسلامي٣.

إن البديل الوحيد اليوم للكراهية والحقد هو الديمقراطية التي تتضمن الإقرار بهذا المبدأ الأخلاقي البسيط؛ وهو: لن يتحقق لنا عالم نبيل بوسائل دنيئة، كما تتضمن الوعي بأن بناء مجتمع عالمي قد أصبح ضرورة حيوية، وسوف يتحقق ذلك من خلال الوعي الأساسي بالتكافل

١- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية؟، ترجمة: عبد الرحيم حزل، الدار البيضاء(المغرب)، أفريقيا الشرق، ٢٠١٢، ص ٨١.
٢- المرجع نفسه، ص١١٤.
٣- المرجع نفسه، ص ١٢٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الداخلي بين بني البشر وبين الجماعة الإنسانية المشتركة في المصير الكوكبي١.

وهنا يؤكد إدغار موران أننا لا يجب أن ننتظر بوذا جديداً، ولا مسيحاً جديداً، ولا نبيًا جديداً؛ ليدعو إلى إصلاح العقول، وإصلاح الأشخاص، وإنما يجب أن تحدث أشكال من التقدم في الفكر البشرى، ويجب أن يسود الوعي الكامل بضرورة ذلك الإصلاح، وسوف يتحقق هذا الإصلاح من خلال وجود مجتمع عالمي تتضافر فيه كل الجهود لإصلاح احوال البشر، وليس من خلال هيمنة عالمية احادية الجانب تقودها الولايات المتحدة. ولن يكون لهذا المجتمع العالمي وجود إذا لم يكن في الإمكان كف المطامح والنهم إلى الربح، والعمى عن الفهم والإدراك، وباختصار إذا لم يكن في الإمكان كف الجوانب الأشد انحرافًا، وهمجية، وغريزية في الكائن البشري، أو تنظيمها على الأقل، فلن يتهيأ صلاح للفكر، أو إصلاح للكائن البشري نفسه٢.

كذلك يرى آلان تورين أن الدولة التي أصبحت تقوم بدور المخلّص السياسي هي الولايات المتحدة الأمريكية التي أصبحت مهووسة بمهمتها الإلهية المتمثلة في الدفاع عن الخير ضد الشر٣.

وهنا يؤكد آلان تورين أن الدول العظمى كانت تميل في الماضي، ولم يتوقف ذلك حتى الآن إلى تقديم نفسها مثالاً وأنموذجًا للعالم٤.

إن الوهم الذي كان يسيطر على عقول الفرنسيين والبريطانيين في القرن التاسع عشر، هو نفسه الوهم الذي يسيطر على الأمريكيين اليوم،

١- المرجع نفسه، ص ١٢١، ١٢٢.

٢- المرجع نفسه، ص ٨٤، ٨٥.

٣- آلان تورين، براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة: جورج سليمان، مراجعة: سميرة ريشا، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١١، ص ٢٤، ٢٦.

٤- المرجع نفسه، ص ٢٧٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إنه الوهم المتمثل في فرض هيمنة عالمية أحادية الجانب تفرض نفوذها على العالم بأسره، ويتم تبرير هذه الهيمنة الأحادية دائماً باسم الدفاع عن خير البشرية١.

اما صمويل هنتجنتون فقد رأى أن الخلاص السياسي سوف يتحقق عندما تحافظ الحضارة الغربية على طبيعتها التي تميزها عن غيرها من الحضارات، وعندما تتخلى عن الرغبة في الهيمنة العالمية٢.

وهنا يؤكد هنتجنتون أن الاستعمار هو النتيجة المنطقية الضرورية للعالمية، إضافة إلى أن الغرب بوصفه حضارة لم يعد لديه الدينامية الاقتصادية، أو الديموغرافية المطلوبة لفرض إرادته على المجتمعات الأخرى، كما أن أي محاولة في سبيل ذلك ستكون ضد القيم الغربية الخاصة بتقرير المصير والديمقراطية؛ ومن ثم فإن عالمية الغرب خطر على العالم؛ لأنها قد تؤدي إلى حرب بين دول المركز في حضارات مختلفة، وهي خطر على الغرب نفسه لأنها قد تؤدي إلى هزيمته٣.

إن الغرب يختلف عن الحضارات الأخرى ليس في طريقة تطوره، وإنما في الطبيعة المميزة لقيمه ومؤسساته، والتي تضم على نحو خاص؛ مسيحيته، وتعدديته، وفردانيته، وحكم القانون؛ وتلك الأمور التي مكنته من اختراع الحداثة والتوسع في أرجاء العالم وأن يصبح محل حسد المجتمعات الأخرى٤.

وبالتالي فإن المسئولية الرئيسة على قادة الغرب ليست هي محاولة إعادة تشكيل الحضارات الأخرى على صورة الغرب، وهذا ليس في مستطاع

١- المرجع نفسه، ص ٣٠٨.

٢- صامويل هنتجنتون، صدام الحضارات(إعادة صنع النظام العالمي)، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم: صلاح قنسوة، سرت – ليبيا، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط ٢، ١٩٩٩، ص ٥٠٢.

٣- المرجع نفسه، ص ٥٠٢ ، ٥٠٣.

٤- المرجع نفسه، ص ٥٠٣، ٥٠٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قدراتهم المتدهورة حاليًا، وإنما في الحفاظ على الصفات الفريدة للثقافة الغربية وتجديدها، ولأن الولايات المتحدة هي أقوى دولة غربية، فإن هذه المسئولية بكاملها تقع على عاتقها[1].

وللحفاظ على الحضارة الغربية في وجه القوة الغربية المتدهورة يصبح من صالح الولايات المتحدة والدول الأوروبية أن:

- تحقق تكاملاً سياسيًا، واقتصاديًا، وعسكريًا أكبر، ومن ثم تنسق بين سياساتها حتى تحول دون استغلال دول الحضارات الأخرى للاختلافات القائمة بينها.

- تحافظ على تفوقها التكنولوجي والعسكري على الحضارات الأخرى، ثم الأهم من ذلك كله ان تعترف بأن التدخل الغربي في شئون الحضارات الأخرى يمكن أن يكون المصدر الوحيد والأشد خطراً لحالة عدم الاستقرار والصراع الكوني المحتمل في عالم متعدد الحضارات[2].

اما نعوم تشومسكي فيؤكد على أن المخلّص السياسي في صورة الهيمنة العالمية أصبح واضحًا بشكل جلي في الهيمنة العالمية التي ترغب الولايات المتحدة في فرضها على العالم بأسره. وإن ما تفعله لتحقيق هذا الغرض هو استبدال الأشكال البالية للنظم الاستعمارية بأشكال جديدة أكثر دهاءً في الإخضاع والهيمنة؛ بحجة الدفاع عن القيم الرفيعة، والمعايير الحضارية الراقية[3].

والوسيلة التي تعتمد عليها الولايات المتحدة لتحقق هذه الهيمنة العالمية هي التدخل في شئون الدول الأخرى باسم أسباب إنسانية، إلا ان

١- المرجع نفسه، ص ٥٠٣، ٥٠٤.

٢- المرجع نفسه، ص ٥٠٤، ٥٠٥.

٣- نعوم تشومسكي، النظام العالمي القديم والجديد، ترجمة: عاطف معتمد عبد الحميد، إشراف عام: داليا محمد إبراهيم، القاهرة، نهضة مصر، ٢٠٠٧، ص ٦، ٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الواقع يثبت لنا أن ما تقوم به هو دور سيء شيطاني، لا تسعى من خلاله إلا إلى تحقيق مصالحها هي وفرض هيمنتها العالمية، وهنا يؤكد نعوم تشومسكي أنه لن يتحقق خلاص سياسي من خلال هيمنة عالمية أحادية الجانب تتحدث باسم الإنسانية، وهي أبعد ما يكون عن كل ما هو إنساني١.

إن الهيمنة العالمية ما هي إلا نظام قرصنة عالمية منظمة، وإن هذه الصورة للمخلّص السياسي هي الصورة التي يقوم عليها النظام العالمي قديماً وحديثًا، فإذا كانت بريطانيا ترغب في استعادة مجدها الاستعماري القديم بسلوك مكشوف، فإن الولايات المتحدة تفضل أن ترتدي ثوبًا من العفة، وهي تسحق كل من يقف في طريقها، معتمدة على وسيلة ناجحة وفعالة هي الترويج للمبادئ والقيم الإنسانية التي تدافع عنها من خلال مؤسسات أيديولوجية مهمتها نشر هذه الأفكار في المراكز الإعلامية والأكاديمية، وفي كل مكان يتم فيه التأثير على الرأي العام العالمي، لكي يتم إقناع الجميع بأنها ستحقق الخلاص السياسي للبشرية، لأنها المدافع الأول عن الحرية، والديمقراطية، والكرامة الإنسانية٢.

وذهب أمارتيا سن إلى أن دور المخلّص السياسي أصبح متمثلاً في الحضارة الغربية، ويرجع ذلك إلى نظرة الغرب إلى حضارتهم على أنها أعظم الحضارات. إنها الحضارة الراقية المتفوقة التي نبعت منها أفكار التسامح، والحرية، والديمقراطية، لذلك وصلت إلى مكانة تؤهلها لأن تقوم بدور المخلّص السياسي للحضارات والدول الأخرى التي عجزت عن الوصول إلى ما وصلت إليه الحضارة الغربية، وبالتالي فإن الوسيلة التي سيتحقق بها الخلاص للبشرية هي نقل كل مظاهر الحضارة الغربية من قيم، وعلوم، ونظم سياسية، واقتصادية واجتماعية إلى الحضارات الأخرى٣.

١- المرجع نفسه، ص ٧.

٢- المرجع نفسه، ص ١١، ١٢، ١٤.

٣- أمارتيا صن، فكرة العدالة، ترجمة: مازن جندلي، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠، ص ٤٧١، ٤٧٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ورفض أمارتيا سن هذا الزعم مؤكداً على ان كل ما يدعي الغرب انه حكراً عليه ليس كذلك، فإن كل مظاهر الحضارة الغربية لها وجود ايضاً في الحضارات الأخرى، فأفكار الحرية، والتسامح، والديمقراطية التي تسعى إلى نقلها ونشرها في الحضارات الأخرى لها وجود في هذه الحضارات. إن الأهمية التي تميز الحضارة الغربية هي انها استطاعت تفعيل هذه الأفكار الديمقراطية وتطبيقها على نطاق واسع داخل الدول الغربية، ولكن ذلك لا يبرر أبداً سعيها إلى فرض هيمنة عالمية، لأن اهم ما يميز الديمقراطية يتمثل في؛ النقاش العام، والمشاركات والحوارات السياسية التي لها وجود في كل دول العالم وحضاراته. وإن خلاص كل حضارة سوف يتحقق من داخلها دون الحاجة إلى هيمنة غربية مفروضة، فلابد من الاعتراف بوجود دول وحضارات متعددة تحيا جنبًا إلى جنب تتبادل الخبرات، والأفكار، والمعلومات، وتتعاون في كل المجالات دون ان يكون لأي منها الحق في فرض الهيمنة على الحضارات الأخرى بحجة تفوقها على هذه الحضارات[1].

وقد تحدث أولريش بيك عن المخلّص السياسي في صورة الهيمنة العالمية مؤكداً أنها أصبحت الصورة الوحيدة في المسرح العالمي التي يتم الإعداد لها بكل الوسائل المباشرة وغير المباشرة، فلقد انتهي عصر السياسة الصغيرة؛ وسيحمل القرن القادم الصراع من أجل السيطرة على العالم وسيؤدي ذلك إلى الالتزام المطلق لممارسة سياسة كبرى، إذ أصبح من غير الممكن أكثر فأكثر الاكتفاء برؤية وطنية، أو قومية محدودة وحيدة البعد[2].

١- أمارتيا سن، الهوية والعنف، ترجمة: سحر توفيق، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس القومي للثقافة والفنون والأدب، ٢٠٠٨، ص ٦١، ٦٢.

٢- أوريش بيك، السلطة والسلطة المضادة في عصر العولمة، ترجمة: جورج كتورة – إلهام الشعراني، بيروت، المكتبة الشرقية، ٢٠١٠، ص ٣١ ، ٣٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهنا يؤكد أولريش بيك أن الوسيلة التي تعتمد عليها الدول الغربية لتحقيق الهيمنة العالمية، هي التحدث باسم حقوق الإنسان، إذ إنها تقدم لهم البنية الأيديولوجية الضرورية التي تبرر حملاتهم الاقتصادية والعسكرية العالمية. وبذلك يتم الجمع بين الغيرية الإنسانية، ومنطق الإمبريالية في نفس الوقت، وبالتالي يصبح لهذه الدول المهيمنة الحق في التدخل في شئون الآخرين في أي مكان وفي أي لحظة. ويرى أولريش بيك أن السعي نحو الهيمنة العالمية لا يكون مكفولاً لكل الدول، وإنما يقتصر فقط على الدول التي لديها قدرات، وإمكانات اقتصادية وعسكرية كبيرة، لكي تتمكن من فرض هيمنة عالمية١.

وبذلك تصبح حقوق الإنسان بمثابة حصان طروادة لعالمية مغلوطة تجعل من حقوق الإنسان مجرد وسيلة لغايات سلطوية٢.

وهنا يؤكد أولريش بيك أن الخلاص السياسي لن يتحقق من خلال الهيمنة العالمية، وإنما يمكن أن يتحقق فقط من خلال مشروع عالمي يقوم على عمل سياسي مبني على رؤية شاملة لاتفاق جديد، تتضمن هذه الرؤية وجود محاكم عابرة للدول التي لديها إمكانية اتخاذ إجراءات رادعة لكل من يتعدى على شئون الدول الأخرى، وتتضمن أيضًا وجود أحزاب جديدة عابرة للدول، هذه الأحزاب تهتم بمواطني العالم، وتضم هذه الرؤية أيضًا وجود رأي عام عالمي، وليس هيمنة عالمية لدول بعينها، وعندما يحدث ذلك فقط يمكن الحديث عن حقوق الإنسان العالمية التي يمكن أن يكون لها وجود فعلي حقيقي٣.

إن مآسي عصرنا هي مآسي شاملة، ولكي يتحقق الخلاص السياسي لابد من تعاون عالمي، إننا نعيش في سياق مسئولية مشتركة لا يمكن لأي شخص أن ينأى بنفسه عنها، ذلك أنها سوف تؤدي إلى وجود حلول

١- المرجع نفسه، ص ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧.

٢- المرجع نفسه، ص١٩٢.

٣- المرجع نفسه، ص ٥١٠، ٥١١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مشتركة، لكي يتم التخلص من الأخطار العالمية، وذلك من خلال المفاوضات والاتفاقيات المشتركة، وتفعيل القانون العالمي، وليس من خلال الحروب التي لا يمكن أن تكون وسيلة للخلاص السياسي١.

من هنا يرى أولريش بيك إن العالمية التي تعتمد على الهيمنة وغياب الديمقراطية تموت قبل أن تولد، إذ إنها ستتحول إلى كابوس يؤدي إلى فناء البشرية، وليس إلى خلاصها٢.

أما جون ميرشامير فرأى أن كل دولة من الدول العظمى تسعى إلى أن تصبح المخلّص السياسي من خلال فرض هيمنتها على العالم بأسره، وتتنافس فيما بينها من أجل هذا الغرض، والوسيلة التي تعتمد عليها كل دولة من هذه الدول؛ هي زيادة نصيبها من القوة العالمية. إن كل دولة من هذه الدول لا ترغب في أن تكون أقوى من غيرها فحسب، وإنما تسعى لأن تصبح القوة العظمى الوحيدة، وبالتالي الدولة المهيمنة الوحيدة في النظام العالمي٣.

لذلك فإن كل قوة من هذه القوى العظمى لا ترضى عن التوزيع الحالي للقوة، وإنما ترغب في أن يتم تغييره لصالحها، وهنا يؤكد ميرشامير أن هذا التنافس الدائم بين القوى العظمى سيؤدي إلى نتيجة واحدة هي عدم استطاعت أي قوة من هذه القوى العظمى تحقيق الهيمنة العالمية الكاملة، فكلما تقترب من هذا الهدف تجد القوة الأخرى تتصدى لها بكل قوة حتى لا تنفرد بالساحة العالمية. وبذلك يصبح قدر العالم هو التنافس الدائم بين القوى العظمى٤.

١- المرجع نفسه، ص ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦.

٢- المرجع نفسه، ص ٧٠٩.

٣- جون ميرشامير، مأساة القوى العظمى، ترجمة: مصطفى محمد قاسم، الرياض، جامعة الملك سعود، ٢٠١٢، ص ٢، ٣.

٤- المرجع نفسه، ص ٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن السبب الرئيس الذي يدفع كل دولة من الدول العظمى لحد السعي إلى الهيمنة العالمية، هو: الرغبة في ضمان بقائها، ولنظراً لأن الدول الأخرى تمثل تهديداً ممكناً، ونتيجةً لعدم وجود سلطة أعلى تسارع إلى إنقاذ الدول عندما تطلب الاستغاثة الدولية، فإن الدول لا تستطيع أن تعتمد في أمنها على بعضها بعض؛ ومن ثم تنحو كل دولة إلى النظر إلى نفسها على أنها غير محصنة ووحيدة، وتعتمد بالتالي على ذاتها في بقائها. هذا التأكيد على الاعتماد على الذات لا يمنع الدول من تكوين تحالفات، لكنها تحالفات تعد زيجات مصالح مؤقتة، فقد يتحول حليف اليوم إلى عدو الغد، وعدو اليوم إلى حليف الغد[1].

يتضح من ذلك أن كل قوة من القوى العظمى لا تسعى إلا إلى تحقيق مصالحها الذاتية، دون أي مراعاة لمصالح الدول الأخرى، أو لمصالح المجتمع الدولي؛ الأمر الذي يعني أنها يجب أن تكون أنانية في عالم يقوم على الاعتماد على الذات، وينطبق ذلك على المديين القريب والبعيد لأن الدولة لو خسرت على المدى القريب فربما لا تكون موجودة على المدى البعيد، لذا فإن الطريقة المثلى لضمان بقائها، هي أن تكون أقوى دولة في النظام العالمي، لكي تصبح الدولة المهيمنة الوحيدة، ومن ثم لا يكون في استطاعت أي دولة أخرى الاعتداء عليها، وتهديد بقائها[2].

وتلجأ القوى العظمى إلى كل الوسائل التي تساعدها على تحقيق غايتها، وأهم هذه الوسائل؛ الكذب، والخداع، واستخدام القوة الوحشية إذا اقتضى الأمر[3].

وتحرص القوى العظمى أيضاً على منع القوى العظمى المنافسة من السيطرة على مناطق العالم المنتجة للثروة، والتي تتجسد في العصر الحديث عادة في المناطق التي تقع فيها الدول الصناعية الرائدة، وكذلك

١- المرجع نفسه، ص ٤١، ٤٢.

٢- المرجع نفسه، ص ٤٢، ٤٣.

٣- المرجع نفسه، ص ٤٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في دول أقل تقدماً تمتلك موارد أولية مهمة جداً، كما تحاول القوى العظمى أن تسيطر على تلك المناطق، لكنها على أقل تقدير تحاول أن تتضمن ألا يخضع أي منها لسيطرة قوة عظمى منافسة، أما المناطق التي لا تحتوي ثروة كبيرة فلا تهم القوى العظمى كثيراً[1].

الخاتمة

تحدثنا في هذا البحث عن مفهوم المخَلّص السياسي، وأهم صوره، ورأينا أن فكرة المخَلّص لا تكون مرتبطة فقط بالمجال الديني، كما هو المعتاد لها، وإنما يكون لها حضور كبير في المجال السياسي. فقد رأى المفكرون السياسيون أن تحقيق الخلاص يكون مرتبطًا بالسياسة لأنها الأجدر على هذه المهمة، ولأن بداخلها الوسائل التي ستمكنا من تحقيق الخلاص السياسي، ومعنى ذلك أن الخلاص السياسي سوف يتحقق عندما تتحقق القيم والأهداف السياسية.

هناك تساؤلات أساسية تشغل أذهان المفكرين السياسيين منذ أقدم العصور وحتى الآن، وهذه التساؤلات، هي: كيف يتم إصلاح أحوال المجتمع؟ وكيف يتمكن الإنسان من أن يحيا حياة أفضل؟ وكيف يتخلص من كل مظاهر الظلم والاضطهاد؟ ومتى سيتمتع بالحرية الكافية التي تمكنه من صنع مستقبله وتحديد مصيره؟ وغيرها من التساؤلات التي يمكن إجمالها في هذا التساؤل الأساسي، وهو كيف يتم إصلاح أحوال المجتمع؟ وكيف يتم التخلص من مواطن الضعف والقصور الموجودة بداخله؟ وعندما يتساءل المفكرون السياسيون عن كيفية تحقيق الخلاص السياسي يكون من الطبيعي أن يرتبط هذا التساؤل بتساؤل آخر هو: من الذي سيقوم بدور المخَلّص السياسي؟ ومن الذي سيقع على عاتقه مهمة إصلاح أحوال المجتمع؟ وما هي الوسائل التي سيتم التعويل عليها لكي يتمكن من تحقيق الخلاص السياسي؟

---

[1]- المرجع نفسه، ص١٨٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ورأينا في هذا البحث أنهم قدموا إجابات مختلفة عن هذا التساؤل فمنهم من رأى أن الخلاص السياسي سوف يتحقق من خلال الحاكم بوصفه الشخص الوحيد القادر على إصلاح شئون الدولة، ولكي يتمكن من تحقيق مهمته منح هذا الفريق للحاكم سلطات وصلاحيات مطلقة، فأصبح هذا الحاكم الشخص الوحيد المتحكم في كل أمور الدولة، وإن كنا نتفق مع أنصار هذا الرأي على أهمية الدور الذي يقوم به الحاكم في الدولة، وإننا لا يمكن أن ننكر مسئوليته في إصلاح شئون الدولة والنهوض بالمجتمع، فإن ما نأخذه على هذا الفريق هو نظرته المحدودة للمخلّص السياسي، والتي من خلالها يكون الحاكم بمفرده هو المسئول عن خلاص الدولة، فحاكم أي دولة مهما كانت صفاته ومؤهلاته لا يمكن أن يحقق الخلاص السياسي بمفرده؛ إذ إن الديكتاتورية والانفراد بالسلطة لا يمكن أن تكون وسيلة للإصلاح، وإنما يحتاج الخلاص والإصلاح السياسي إلى تضافر جهود عدة لكي يحقق نجاحًا ملموسًا على أرض الواقع، فلابد أن يتعاون الحكام والمحكومون لتحقيق الخلاص المنشود، ولن يحدث ذلك إذا منح الحاكم سلطات وصلاحيات مطلقة، لأن الواقع يثبت لنا كل يوم أنه عندما يصبح الحاكم صاحب السلطات الوحيدة في الدولة ومصدر كل القرارات يتحول إلى طاغية مستبد، ولا يمكن أن يكون الطغيان والاستبداد وسيلة لخلاص المجتمع وإصلاحه.

-أما الفريق الثاني فنجد أنه رفض أن يكون الحكام هم مسئولين عن الخلاص السياسي، لأنهم بذلك يتحولون إلى حكام مستبدين لا يراعون مصالح المجتمع، وإنما يسعون إلى تحقيق مصالحهم الشخصية فقط، لذلك بحث أنصار هذا الفريق عن المخلّص السياسي بعيداً عن الحكام ورأوا أن الخلاص السياسي هو مسئولية كل أفراد الشعب، فالشعب بمفرده هو القادر على تحقيق الخلاص له، ومن ثم فإن كل سلطة وكل سيادة يجب أن تبدأ وتنتهي بالشعب، وإن كل مهمة الحكام هي تنفيذ إرادة الشعب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهنا نجد أن النقطة المهمة التي التفت إليها أنصار هذا الرأي هي تأكيدهم على أهمية الشعب ودوره المحوري في تحقيق الخلاص السياسي، الأمر الذي يعنى أنهم قد أتاحوا للشعب المشاركة الفعالة في تحديد سياسة دولتهم التي ستحقق احتياجاتهم، ومتطلباتهم، وطموحاتهم، إلا أن ما يؤخذ على هذا الرأي هو أنهم قد افترضوا مسبقًا أن الشعب جاهز دائمًا للمشاركة السياسية الفعالة؛ لكن الواقع يثبت لنا أن ذلك غير صحيح فالشعب يحتاج إلى أن يتم تأهيله لكي يتمكن من هذه المشاركة السياسية الفعالة، فهناك الكثير من المواطنين في كل دولة ينأون بأنفسهم عن المجال السياسي، ويرفضون أن يكون لهم أي دور إيجابي، أو مساهمة فعالة في سياسة الدولة، وإذا قمت بسؤالهم عن السبب في ذلك تجد أنهم يجيبون قائلين ما لنا ومال السياسة، كذلك فإن الوسيلة التي استند إليها أنصار هذا الرأي هي المشاركة في انتخابات حرة ديمقراطية يتم من خلالها اختيار الحكام من بين أفراد الشعب. وإذا نزلنا إلى أرض الواقع نجد أن عددًا كبيرًا من المواطنين في كل دولة قد يصل إلى النصف حتى في الدول المتقدمة التي ترى نفسها رائدة الديمقراطية لا يدلون بأصواتهم، ولا يشاركون في هذه الانتخابات، وحتى المواطنين الذين يشاركون في هذه الانتخابات لا نكون على ثقة تامة من مصداقية صوت كل المشاركين فيها هل ما يقومون باختياره والتصويت له نابعًا من إرادتهم الحرة واقتناعهم الكامل دون أي مؤثرات خارجية، أو توجهات قمعية ناهيك عن غش الانتخابات وأكاذيبها، ونتائجها الباطلة في كثير من الأحيان. وبذلك فإن ما غفل عنه هذا الفريق هو كيف يمكن ترغيب الشعب في المشاركة السياسية الفعالة؟ كيف يكون له دورٌ حقيقيٌ في تحقيق الخلاص والإصلاح وليست مجرد شعارات؟ وما هي الوسائل الأخرى غير الانتخابات التي يمكن أن تمكنه من القيام بدوره؟ كيف يصبح شعبًا واعيًا مثقفًا على دراية تامة بحقوقه وواجباته؟ وبالتالي كيف يكون حقًا صاحب السلطة والسيادة الحقيقية؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-أما الفريق الثالث فقد رأى أن الخلاص السياسي هو مسئولية الإنسان الأعلى الذي يجسده الأشخاص النابغون المتفوقون الموهوبون لما لديهم من قدرات ومؤهلات يتمتعون بها تميزهم عن كل الأشخاص الآخرين، ولا يمكن أن ننكر دور المتفوقين والنابغين في كل دولة ولا يمكن أن ننكر أن لهم دوراً رئيسًا في إصلاح شئون الدولة والارتقاء والنهوض بها في كل المجالات، ولكن يؤخذ على المفكرين المعبرين عن هذه الصورة؛ وأبرزهم نيتشه، وغوستاف لوبون كما رأينا أنهم جعلوا هؤلاء النابغين الموهوبين هم من بين أبناء الطبقة الأرستقراطية العليا دون سواها، فلا يخرج هؤلاء النابغون من بين أفراد الشعب، وقد أثبت التاريخ والواقع الفعلي عدم صحة هذا الزعم، فإن أغلب النابغين والمتفوقين قد خرجوا من أفراد الشعب وخرج الكثير منهم من الطبقات المتوسطة والدنيا، وليس من الطبقات العليا. كما إن تأكيدهم على هذا الربط بين وجود الإنسان الأعلى وبين أبناء الطبقة الأرستقراطية هو ادعاء ملئ بالتحيز والعنصرية، لأنه يوجد بين الناس العاديين الأفراد الموهوبين الذين لديهم قدرات ومؤهلات عليا تحتاج فقط إلى رعاية الدولة وتشجيعها، لكي تخرج إلى النور وتسهم في تحقيق الرقي والتقدم والخلاص. ولما لا نعد كل أفراد الشعب لكي يصبحوا متفوقين ومميزين، ونستفيد في نفس الوقت بدرجة أكبر من أصحاب الكفاءات العليا، ونوفر لهم الجو الذي يشجعهم على إبراز مواهبهم وإخراجها إلى حيز التطبيق الفعلي لكي يتحقق للدولة الخلاص؟

كذلك يؤخذ على نيتشه أنه قد جعل مهمة الإنسان الأعلى مرتكزة فقط على تخليص ذاته، ورأى أن الموهوبين، والنابغين، والمتفوقين ليس لهم علاقة بغيرهم من الأفراد، ولا بإصلاح شئون المجتمع، ومعنى ذلك أنه قد ألغى بجرة قلم دور المخلّص السياسي، فما فائدة نبوغ الإنسان الأعلى وتفوقه إذا لم يسهم في نهوض مجتمعه، وإصلاح شئونه؛ ذلك أن المواهب والقدرات تصبح عديمة القيمة عندما لا يتم إظهارها والاستفادة منها وتوظيفها في المكان المناسب لها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-وأما الفريق الرابع فرأى أن الخلاص هو مسئولية الإنسان الفرد، فكل إنسان مسئول عن تحقيق خلاصه بالشكل الذي يراه مناسبًا. ورغم أننا نتفق مع أنصار هذا الرأي في رغبتهم في أن يكون للإنسان الدور الرئيس في تشكيل حياته وصنع مستقبله، وفي المكانة الرئيسة التي يعطونها للحرية بوصفها الوسيلة التي تمكن الإنسان الفرد من تحقيق خلاصه وسعادته، فإن ما نأخذه عليهم هو أن في إعلائهم من قيمة الفرد لم يعبروا بشكل كافٍ عن الارتباط بين الفرد والمجتمع، فقد نظروا إلى المجتمع بعاداته، وتقاليده، وأعرافه، وقوانينه، وإلى العلاقات التي تربط بين الأفراد بعضهم ببعض على أنها قيود بين الفرد وتحقيق خلاصه وسعادته، وكذلك فإننا لا نتفق معهم في رؤية الروابط التي ترتبط بين الفرد والأفراد الآخرين على أنها قيود، فقد أصبحت كلمة قيود كلمة واسعة فضفاضة؛ فالعادات، والتقاليد، والأعراف، والقوانين تكون من وضع الأشخاص الموجودين في كل مجتمع، إذ إنها الصورة الحية المعبرة عن واقعهم، واحتياجاتهم، وطموحاتهم، وبالتالي فإن انفصال الفرد عن غيره من الأفراد لا يؤدي إلى خلاص المجتمع، وإنما يؤدي إلى حالة من العزلة فيعيش كل فرد في كهف خاص به لا علاقة له بالآخرين، ويؤدي ذلك إلى شعور الإنسان بالتفكك والإحباط الذي أصبح من أكثر الأمراض التي يعاني منها الإنسان؛ لأنه انطوى على ذاته واكتفى بشخصه، وتجاربه، وخبراته. كما ينادي أصحاب هذا الرأي، في حين أن خبرات الفرد تنشأ من تبادل الخبرات مع الآخرين، والاستفادة منها، واختيار من بينها ما يتلاءم مع احتياجاته، وينسجم مع أهدافه، فليس هناك تناقض أو انفصال بين خلاص الفرد وخلاص المجتمع، ولا يمكن أن نركز فقط على نقاط الاختلاف فلابد من التركيز على نقاط الاتفاق والالتقاء لكي يتحقق الخلاص للمجتمع ولكل فرد من أفراده.

-ونظر الفريق الخامس إلى الدولة على أنها المسئول عن الخلاص، الدولة بوصفها الكيان المعنوي والمكان الذي ينتمي إليه كل من يحيا بداخله، ورأينا أن هيجل هو أبرز من مثل هذا الاتجاه، والشيء الإيجابي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذي يمكن استخلاصه من كون الدولة هي المخلّص السياسي، هو زرع روح الولاء والانتماء للوطن داخل كل فرد من أفراده، لأن الدولة هي الملجأ الذي يأوي كل من بداخله، وبالتالي يجب أن تكون الدولة هي الغاية العليا والملاذ الآمن. فليس هناك اختلاف على ذلك، وإنما تكمن نقطة الخلاف في الدور الثانوي الذي منحه أصحاب هذا الرأي لمواطنين الدولة أنفسهم في تحقيق الخلاص السياسي، فالاعتراف بقيمة الدولة واهميتها لا يعني أبداً التقليل من قيمة مواطنيها، لأن رقي الدولة وازدهارها، وإصلاح شئونها يكون مسئولية هؤلاء المواطنين، فالدولة تكسب مكانتها من الإنجازات التي يقوم بها أبناؤها للنهوض بها.

-أما الفريق السادس فقد رأى أن الخلاص السياسي سوف يتحقق من خلال تطبيق أيديولوجيا بعينها لقدرتها على تحقيق هذا الخلاص، ويؤخذ على أصحاب هذا الرأي أنهم قد وضعوا قوالب جامدة، وأرادوا أن يتم تطبيقها على المجتمع، فأرادوا إخضاع الواقع للأيديولوجيات، فبدلاً من أن يتم وضع الأيديولوجيات المعبرة عن الواقع، نادوا بصنع الواقع الذي يتلاءم مع تلك الأيديولوجيات. إننا لا ننكر الدور الذي يمكن أن تلعبه الأيديولوجيات في تحقيق الخلاص السياسي، وذلك عندما تصبح مرآة صادقة تعكس واقع الناس المعيش، وعندما تضع يدها على مشكلات المجتمع وأزماته الحقيقية، وليست المشكلات والأزمات التي تتخيلها هذه الأيديولوجيات، وعندما تقدم حلولاً واقعية لإصلاح المجتمع ومعالجة مشكلاته وأزماته، ولكن ما تفعله الأيديولوجيات هو النظر إلى المجتمع نظرة أحادية الجانب دون النظر إلى الجوانب الأخرى، مركزة على تفسير بعينه يتم من خلاله تفسير الواقع والحياة بكل ما فيها اعتماداً على مسلمات ومقدمات ترى أنها يقينية، وسوف تؤدي بالضرورة إلى نتائج يقينية فيتخيلوا أن هناك علة بعينها تكون مسئولة عن التدهور والانهيار الاجتماعي ويردون كل مشكلة أو أزمة إلى هذه العلة، ثم يضعون العلاج الذي تراه أيديولوجيتهم مناسبة، لكي يتحقق الخلاص والإصلاح ويؤكدون على أن أي علاج آخر غير الذي تؤكد عليه أيديولوجيتهم لا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يكون مناسبًا، وبالتالي يكون عاجزًا عن تحقيق الخلاص. وأدى ذلك إلى أنه قد انغلق معتنقو كل أيديولوجيا على أنفسهم، وأصموا آذانهم على مميزات الأيديولوجيات الأخرى، فالليبرالي لا يخرج عن دائرة الليبرالية، والديمقراطي لا يخرج عن دائرة الديمقراطية، والاشتراكي لا يخرج عن دائرة الاشتراكية، والمحافظ لا يخرج عن دائرة الاتجاه المحافظ، والأكثر من ذلك أن أنصار كل أيديولوجيا ينظرون إلى معتنقي الأيديولوجيات الأخرى على أنهم خصوم لهم، وعلى أنهم أعداء الإصلاح والخلاص. والسبب في ذلك أن نقطة انطلاق كل هؤلاء لم تكن الواقع المعيش حقًا بمشكلاته وأزماته الفعلية، وإنما كانت نقطة انطلاقهم من النظريات وما بداخلها من أفكار مجردة أرادوا أن يتم فرضها على الواقع الفعلي بالشكل الذي تصورته أذهانهم. وعندما يحدث العكس وتكون نقطة البداية من الواقع المعيش، ويكون الهدف الحقيقي هو إصلاح هذا الواقع سوف تخف حدة هذا الصراع الأيديولوجي، والأكثر من ذلك ستكون هناك الكثير من نقاط الاتفاق والالتقاء التي ستجمع بين هذه الأيديولوجيات، وسوف يتم التخلي عن عيوبها التي قد تؤدي إلى انحلال المجتمع، وليس إلى خلاصه.

-أما الصورة الأخيرة للمخَلِّص السياسي فهي الصورة التي تعبر عن واقعنا المعيش في هذه الأيام؛ إنها الصورة التي رأى المدافعون عنها أن الخلاص السياسي سوف يتحقق من خلال الهيمنة العالمية، فقد رأت بعض الدول أن خلاص البشرية مسئوليتها، إنها ليست مسئولة فقط عن تخليص شعوبها، وإنما مسئولة أيضًا عن تحقيق الخلاص والإصلاح لكل شعوب الأرض، وقد عبر الكثير من المفكرين السياسيين عن هذه الصورة كما راينا، وأكد أغلبهم على اعتراضهم على هذه الصورة. والسبب الذي دفع هذه الدول إلى إسناد هذه المهمة لها أنها قد رأت أنها الأجدر على حملها؛ لأنها المدافع الأول عن حقوق الإنسان، وعن الديمقراطية، وعن تحقيق الحرية، والمساواة، والعدالة للجميع؛ وبالتالي فإن عليها مهمة مقدسة هي تخليص البشرية بأكملها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإن كنا نؤكد على أهمية القيم التي تنادي بها هذه الدول من حرية، وعدالة، ومساواة، وديمقراطية، والدور الرئيس الذي تلعبه هذه القيم في تحقيق الخلاص السياسي، إلا أن ما حدث على أرض الواقع على العكس من ذلك تمامًا، إذ إن هذه الدول على الرغم من أنها قد أعلنت أنها ترغب في تحقيق الخلاص للبشرية، فإنها في حقيقة الأمر لا تسعى إلا إلى تحقيق خلاصها هي ومصالحها هي دون أي مراعاة لخلاص الآخرين ومصالحهم. إنها لا تسعى إلا إلى فرض هيمنتها، وبسط نفوذها، وتنفيذ إرادتها. ولم تؤد هذه الهيمنة العالمية إلى تخليص الشعوب الأخرى وتحريرها كما ادعت هذه الدول، وإنما أدت إلى استعمارها، وسلب خيراتها، وقتل أبنائها، وضياع

كل أثر لحقوق الإنسان فيها، فلم يعد لدى هذه الشعوب حرية، ولا مساواة، ولا عدالة، وإنما أصبحت هذه الدول المهيمنة المنتهك الأول لكل هذه القيم. وأدت الهيمنة المزعومة إلى تدمير البشرية، وتدهور أحوالها وليس إلى الإصلاح وتحقيق الخلاص لها.

وهنا نتساءل لماذا يركز المفكرون السياسيون دائمًا على جانب واحد، ويرون أنه عن طريقه فقط يتحقق الخلاص؟ لماذا لا يتم الجمع بين الصور المتعددة للمخلّص السياسي؟ فالخلاص السياسي لكي يتحقق لابد من الجمع بين هذه الصور المتعددة، فنحن في حاجة إلى الحاكم العادل الذي يسعى إلى تحقيق مصالح شعبه، ويكون قادرًا على تحقيق السعادة، والأمن، والاستقرار لكافة المواطنين، كذلك فإننا في حاجة إلى الإرادة الشعبية المتماسكة، والتي تكون على وعي بحقوقها وواجباتها حتى لا يستبد بها أحد ويفرض إرادته عليها، إلى جانب حاجتنا إلى الإنسان المتفوق الذي يستطيع بنبوغه تحقيق رقيّ وتقدم في كل المجالات، كما إننا في حاجة إلى الإرادة الفردية القوية الواعية القادرة على تحقيق أهدافها، وليس هناك ما يمنع من وجود أيديولوجيات يؤمن بها مفكرون أحرار يكونون على علم بمشكلات مجتمعهم، ومدركين لطبيعة واقعهم يحاولون من خلالها تقديم السبل التي تؤدي إلى إصلاح واقعهم، والرقي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والنهوض بمجتمعاتهم، ولكننا لسنا في حاجة إلى التعصب الأعمى لأيديولوجيا بعينها بكل مساوئها وعيوبها، وإنما نحتاج إلى تضافر الجهود من خلال تعدد الرؤى والأيديولوجيات التي يكون لكل منها دورٌ في إصلاح الواقع وتحقيق الخلاص السياسي، كما أننا في حاجة إلى أن تتغير الصورة الحالية للمخلّص السياسي المتمثلة في الهيمنة العالمية التي تقوم على فرض الدول العظمى لهيمنتها على العالم بأسره، وأن تتحول هذه الصورة من الهيمنة العالمية إلى التعاون العالمي لتحقيق خير البشرية وخلاصها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قائمة المصادر

١- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية؟، ترجمة: عبد الرحيم حزل، الدار البيضاء(المغرب)، افريقيا الشرق، ٢٠١٢.

٢- إريك فروم، المجتمع السوي، ترجمة: محمود محمود، ٢٠٠٩.

٣- آلان تورين، براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة: جورج سليمان، مراجعة: سميرة ريشا، بيروت ، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١١.

٤- أمارتيا صن، الهوية والعنف، ترجمة: سحر توفيق، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٨.

٥- ــــــــــــ، فكرة العدالة، ترجمة: مازن جندلي، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠.

٦- أندرو هيود، مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية، ترجمة: محمد صفار، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٢.

٧- أولريش بيك، السلطة والسلطة المضادة في عصر العولمة، ترجمة: جورج كتورة – إلهام الشعراني ، بيروت، المكتبة الشرقية، ٢٠١٠.

٨- برتراند راسل، مثل عليا سياسية، ترجمة: فؤاد كامل عبد العزيز، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر.

٩- ــــــــــــ أسس لإعادة البناء الاجتماعي، ترجمة: إبراهيم يوسف النجار، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٧.

١٠- توماس هوبز، الليفياثان الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، ترجمة: ديانا حرب وبشرى صعب، مراجعة وتقديم: رضوان السيد، الإمارات، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث، ٢٠١١.

١١- جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، ترجمة: عبد المنعم الحفني، القاهرة، مطبعة الدار المصرية للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٦٤.

١٢- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢.

١٣- جون ستيوارت مل، عن الحرية، ترجمة: هيثم كامل الذبيدي، منتدى مكتبة الإسكندرية، www.alexandra.ahlamontada.com .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٤- جون لوك، الحكومة المدنية، ترجمة: محمود شوقي الكيال، القاهرة، مطابع شركة الإعلانات الشرقية.

١٥- جون ميرشامير، مأساة سياسة القوى العظمى، ترجمة: مصطفى محمد قاسم، الرياض، جامعة الملك سعود، ٢٠١٢.

١٦- حنة أرندت، بين الماضي والمستقبل، ترجمة: عبد الرحمن بشناق، مراجعة: زكريا إبراهيم، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٤.

١٧- ـــــــــ، في العنف، ترجمة: إبراهيم العريس، بيروت، دار الساقي، ١٩٩٢.

١٨- روبرت أ. دال، التحليل السياسي الحديث، ترجمة: علاء أبو زيد، مراجعة: علي الدين هلال، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٣.

١٩- ـــــــــ، الديمقراطية ونقادها، ترجمة: نمير عباس مضفر، مراجعة: فاروق منصور، بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.

٢٠- زهير الخويلدي، تقريظ التعددية والمشترك العمومي عند حنة أرندت في: الفعل السياسي بوصفه ثورة دراسات في جدل السلطة والعنف عند حنة أرندت، بيروت، دار الفارابي، ٢٠١٣.

٢١- صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات (إعادة صنع النظام العالمي)، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم: صلاح قنسوة، سرت – ليبيا، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط٢، ١٩٩٩.

٢٢- غوستاف لوبون، روح السياسة، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢.

٢٣- ـــــــــ، السنن النفسية لتطور الأمم، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، ٢٠١٤.

٢٤- ف.أ.هايك، الطريق إلى العبودية، ترجمة: محمد مصطفى غنيم، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٤.

٢٥- فرانز فانون، معذبوا الأرض، (مقدمة بقلم جون بول سارتر)، ترجمة: سامي الدروبي و جمال أتاسي، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥.

٢٦- فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة: فليكس فارس، الإسكندرية، مطبعة جريد البصير، ١٩٣٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٧- ـــــــــ، إرادة القوة(محاولة لقلب كل القيم)، ترجمة وتقديم: محمد الناجي، المغرب، افريقيا الشرق، ٢٠١١.

٢٨- كارل ماركس، فريدريك انجلز، بيان الحزب الشيوعي، ١٨٤٨.

٢٩- ـــــــــ، مخطوطات كارل ماركس، ترجمة: محمد مستجير مصطفى، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، ١٩٧٤.

٣٠- ـــــــــ، فريدريك انجلز، الأيديولوجيا الألمانية، ترجمة: فؤاد أيوب، دمشق، دار دمشق، ١٩٧٦.

٣١- كانت، مشروع للسلام الدائم، ترجمة: عثمان امين، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٢.

٣٢- ليو شتراوس وجوزيف كروبسي، تاريخ الفلسفة السياسية، الجزء الثاني من جون لوك إلى هيدجر، ترجمة: محمود سيد احمد، مراجعة: إمام عبد الفتاح، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥.

33- Michael oakeshott, Political Education In Rationalism In Politics And Other Essays, London: Methuen And Co ltd, 1962.

34--....., On Human Conduct, Oxford: Clarendon press, 1975.

٣٥- ميكيافيللي، كتاب الأمير، ترجمة: اكرم مؤمن، القاهرة، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.

٣٦- نعوم تشومسكي، النظام العالمي القديم والجديد، ترجمة: عاطف معتمد عبد الحميد، إشراف عام: داليا محمد إبراهيم، القاهرة، نهضة مصر، ٢٠٠٧.

٣٧- هارولد لاسكي، الحريات في الدولة الحديثة، القاهرة، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، ١٩٣٧.

٣٨- هيجل، أصول فلسفة الحق، ج١، ترجم : إمام عبد الفتاح إمام، القاهرة، مكتبه مدبولي، ١٩٩٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner